

منافسات القوى العظمى في البحر الأحمر: تجربة الصين في جيبوتي وتداعياتها بالنسبة إلى الولايات المتحدة

زاك فيرتين

نوفمبر 2020

الملخص التنفيذي

لقد وجّه حضور الصين المتنامي في جيبوتي انتباهاً غير مسبوق إلى تلك الدولة المرفئية الأفريقية المعروفة قليلاً وجعلها المحك في النقاش حول أهداف بكين العالمية المتوسّعة. وفي العام 2017، افتتح جيش التحرير الشعبي الصيني هناك أول قاعدة عسكرية له عبر البحار، عند مدخل البحر الأحمر، مُتخلياً بذلك عن سياسة قديمة تقضي بعدم تمرّكز جنود صينيين في الخارج. ولا تطلّ هذه المنشأة الجديدة للبحرية الصينية على معبر استراتيجي مهمّ وعلى أحد ممّرات الشحن الأكثر نشاطاً في العالم فحسب، بل أيضاً على قاعدة عسكرية أمريكية، تبعد عنها حوالي 9,7 كيلومترات فقط.

وقد أطلق وصول جيش التحرير الشعبي نقاشاً جديداً حول تطوّر عقيدة الصين العسكرية وقوّتها البحرية وقدراتها الاستطلاعية. بيد أنها لفتت انتباهاً جديداً أيضاً إلى استثمارات بكين الاقتصادية على ضفّتي البحر الأحمر، وهذه تسبّب القاعدة بأكثر من عقد من الزمن. وقد سبّب هذا المزيج بين توسّع الصين التجاري والاستراتيجي القلق في أوساط الأمن القومي الأمريكي وسلط الضوء على البحر الأحمر كمسرح محتمل للتنافس بين القوى العظمى.

جيبوتي بلد حارّ وجاف والموارد الطبيعية فيه قليلة، لكنّ موقعها الاستراتيجي ومجمّع ميناء المياه العميقة فيها لم يجذبا الجيشين الأمريكي والصيني فحسب، بل أيضاً الفرنسي والياباني والإيطالي والإسباني، فضلاً عن إعراب روسيا والهند والمملكة العربية السعودية عن اهتمامها. ولا يتعدّى سكّان جيبوتي المليون نسمة وتقارب مساحتها مساحة ولاية فيرمونت الأمريكية ويبلغ ناتجها المحلي الإجمالي 3 مليارات دولار، أي ما يوازي إنتاج الصين كلّ ساعتين.¹ والتباين بين البلدين كبيرٌ لدرجة يصعب التضخيم في أمره. وقد أدّى مزيج من مشاريع البنى التحتية الباهظة والتزامات بديون ضخمة إلى بروز قلق معهود حول نفوذ الصين الكبير على الأصول وصناعة القرار الجيبوتية، ممّا أّجج جولة أخرى من النقاشات حول ما يُعرف بدبلوماسية "فخّ الدين".²

وتتخطّى القروض وعقود البناء واستثمارات البنية التحتية الصينية في القرن الأفريقي ومنطقة البحر الأحمر الأوسع، التي بات معظمها ضمن مبادرة الحزام والطريق التي تسترعي الكثير من النقاشات، القروض والعقود والاستثمارات الأمريكية بأشواط.³ ومن المفترض أن تتوسّع هذه الهوّة التي تبيّن فرقا كبيرا في المقاربة التي تنتهجها الدولتان حتّى الآن: فقد رأت واشنطن جيبوتي والقرن الأفريقي بشكل أساسي من منظور أمني، فيما كان منظار بكين "تنموياً" بالإجمال. لكن من المستفيد من هذه التنمية مسألة خاضعة لبعض النقاشات.

وتعتقد النُخب الجيبوتية أنّ التمويل والتكنولوجيا الصينيين وحجم التبادل التجاري مع الصين لا تدفع بلادها لتصبح "سنغافورة أفريقيا" فحسب، بل تُسرّع النمو والتكامل في منطقة غير نامية إلى حدّ بعيد، وهذا كلام تكرّره بكين.⁴ بيد أنّ المشكّكين يرون في جيبوتي والدول المجاورة لها منافذاً لقدرات الصين الإنتاجية الفائضة محلياً.⁵ ويقلقون أيضاً من أنّ جيبوتي، على غرار غيرها من الدول المتلقية التوّاقة للسّخاء الصيني، قد تتخلّف عن تسديد ديونها وتضطرّ إلى تقديم تنازلات لبكين، وهذا تسلسل يمكنه أن يهدّد المصالح الأمريكية الحيوية في المنطقة. وكما هو الحال في أرجاء العالم، تسبّبت جائحة فيروس كورونا المستجدّ وتعطّل سلسلة التوريد العالمية إلى ضرر حادّ ومفاجئ في أوائل العام 2020 في اقتصاد جيبوتي الذي يعوّل على التجارة. ومع أنّه من المبكر معرفة التداعيات المتوسطة أو الطويلة الأمد، أضاف الانكماش المتوقّع في الناتج المحلي الإجمالي في الصين وجيبوتي على حدّ سواء عقدة جديدة إلى النقاشات حول قدرة جيبوتي الطويلة الأمد على سداد الدين.

وقد تزايدت المخاوف لدى الاستراتيجيين الأمريكيين بسبب الفساد والحوكمة الرديئة في أعلى النظام السياسي الجيبوتي، ورئيس أسلوبه السلطوي يشبه أسلوب رعاته الجدد، بالإضافة إلى تجاوزات تكنولوجيا ارتكبتها شركات الاتصالات صينية.⁶ في هذا السياق، تُبرز جيبوتي التنافس الأوسع بين الصين والغرب، وهو تنافس يتسم بمقاربتين مختلفتين للحكومة والتنمية الاقتصادية والحرّيات الفردية.

بالشراكة مع:



مركز بروكنجز الدوحة
BROOKINGS DOHA CENTER

المقدمة

يقع هذا التقرير في إطار الرؤى المتنافسة حول التعاون بين الصين وجيوتي، ويهدف إلى الفصل بين الوقائع والأوهام في نقاش يميل إلى التوصيفات الخاطئة. ويهدف أيضاً إلى البحث في تداعيات المكانة الصينية المتعاطمة على الأمن القومي الأمريكي. فما هي طبيعة هذا التهديد وماذا تبين تجربة بكن في جيوتي عن التوسع الاستراتيجي المحتوم إلى ما بعد آسيا؟

يبدأ التقرير بالتحدث عن موقع جيوتي في منطقة البحر الأحمر السريعة التغير وضمن سياق استراتيجي أوسع على حد سواء. ثم يقدم معلومات أساسية عن إدارة الصين لشؤونها الاقتصادية وعن حضورها العسكري في جيوتي، بما في ذلك المسائل العملية التي تهتم الجيش الأمريكي. أخيراً، يبحث التقرير في الطرق التي قد تعتمد عليها واشنطن لتضبط على أكمل وجه موقعها الدبلوماسي والعسكري، علماً أن جيوتي ستشكل تجربة هي سابقة في العلاقات عبر البحار بين الولايات المتحدة والصين في المستقبل.

التحول الخلافي في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين يبلغ أفريقيا

يشكل بروز الصين تحدياً للولايات المتحدة والنظام العالمي الذي لطالما ترأسته. وفيما تشهد المواقف الأمريكية إزاء بكن تغيراً منذ زمن،⁷ شكل وصول إدارة ترامب إلى الحكم في العام 2017 تحولاً مفاجئاً وخلافياً في طبيعة السياسة الأمريكية. فقد صاغت الإدارة الأمريكية استراتيجيتها للأمن القومي بلغة "منافسة القوى العظمى" وبادرت إلى وصف الصين كمنافس رجعي ينوي إنشاء "عالم معاكس للقيم والمصالح الأمريكية".⁸ وسرعان ما انعكست بعد ذلك سياسة المنافسة في الرسائل حول القرن الأفريقي ومنطقة البحر الأحمر الأوسع.

واعُتبرت أفريقيا، حتى السنوات الأخيرة، مجالاً ذا أهمية استراتيجية هامشية وموقعاً قد يجد فيه الدبلوماسيون الأمريكيون والصينيون مساحة للتعاون.

واعُتبرت أفريقيا، حتى السنوات الأخيرة، مجالاً ذا أهمية استراتيجية هامشية وموقعاً قد يجد فيه الدبلوماسيون الأمريكيون والصينيون مساحة للتعاون. وقد سبرت كلتا الدولتين أغوار الفرص المتاحة من خلال "الحوار الفرعي الاستراتيجي والاقتصادي بين الولايات المتحدة والصين حول أفريقيا" الذي جرى سبع مرّات بين العامين 2005 و2016، وكذلك من خلال مبادرات "المسار الثاني".⁹ بالإضافة

إلى ذلك، منذ زمن ليس ببعيد، أي في العام 2017، أشاد الجنرال طوماس والدهاوزر، قائد القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا، بالاستثمارات الصينية في البنى التحتية في أفريقيا وتحدث عن "مجالات كثيرة يمكننا التعاون فيها مع الجيش الصيني".¹⁰ وفيما كان اتّجاه أكثر خلافة ينشأ سرّاً، قال والدهاوزر إنّ الهدف المُعلن للجيش الأمريكي هو "العمل مع الصين في أفريقيا كجّهتين صاحبتيّ مصلحة في السلام والأمن والاستقرار".¹¹

تغيّر كلّ ذلك في ديسمبر 2018، عندما كشف مستشار الأمن القومي آنذاك جون بولتون عن استراتيجية جديدة لأفريقيا. فقد ركّز بولتون على امتداد بكن المتنامي في جيوتي والقرن الأفريقي والبحر الأحمر.¹² ومشيراً إلى المخاوف من أفخاخ الديون والاستحواذات على الموانئ والسلوك العسكري العدواني، قال إنّ الصين تستهدف استثماراتها "عمداً وعدائياً" لكسب الأفضلية على الولايات المتحدة وإنّ ممارساتها الجائرة مُصمّمة لجعل الدول الأفريقية "أسيرة مطالب بكن". وتبع الجنرال ستيفن تاونسند، خَلَف والدهاوزر في القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا، المنحى نفسه في تقريره المرفوع إلى الكونغرس في يناير 2020. فقد قال إنّ الصين، "جهة فاعلة خبيثة"، تهدّد على حدّ سواء الاستقرار الأفريقي وقدرة وصول الولايات المتحدة إلى المنطقة ونفوذها فيها، مشيراً إلى ممارسات "قسرية واستغلالية". وأضاف إنّ بكن في طريقها لتحويل منشأتها اللوجستية المزعومة إلى "منصة لنشر السلطة"¹³ مستفيدة من موقعها في جيوتي.

واستغلّ بولتون طرح هذه السياسة للإعلان عن مبادرة "ازدهار أفريقيا"، وهي أحدث برنامج ضمن لائحة طويلة من البرامج الأمريكية التي تهدف إلى تحفيز مصالح الأعمال الأمريكية في أفريقيا. وفُسّر بولتون أنّ هذه المبادرة ستشجّع القادة الأفريقيين على "اختيار مشاريع استثمارات أجنبية مستدامة وشاملة وشفافة وعالية الجودة، بما في ذلك المشاريع المقدّمة من الولايات المتحدة". وتهدف مبادرة ازدهار أفريقيا، بالترافق مع مبادرات جديدة لتمويل التنمية، جزئياً إلى مواجهة الاستثمارات الصينية التي توجّهها الدولة.¹⁴

لكن فيما تستطيع واشنطن العثور على سبل للاستفادة من الأفضليات المقارّنة وطرح الاستثمارات الذكية وينبغي عليها القيام بذلك، على صانعي السياسات أيضاً الأخذ بعين الاعتبار أن الولايات المتحدة عاجزة عن مضاهاة الثقل الاقتصادي الصيني في المنطقة. فقد تخطّى التبادل التجاري الصيني التبادل الأمريكي منذ أكثر من عقد وما زالت حصّته من الاستثمارات الأجنبية في أفريقيا تنمو بسرعة كبيرة، إذ باتت الآن توازي أكثر من ضعف رأس المال الذي تستثمره الشركات الأمريكية.¹⁵ وبكن هي المستثمر الأجنبي الأكبر والشريك التجاري الأضخم على ضفتيّ البحر الأحمر، فقد بلغت قيمة تبادلاتها التجارية في العام 2018 مع دول القرن الأفريقي ومجلس التعاون الخليجي 187 مليار دولار، أي من جديد أكثر من ضعف قيمة التبادلات الأمريكية.¹⁶

الرسم رقم 1: منطقة جيبوتي والبحر الأحمر



البحر الأحمر كميدان للتنافس

تشكل الدولة المدينة الجيبوتية اليوم موقعاً يستضيف قوى العالم المسيطرة والناشئة، وهذا ترتيب صعب لكنه تحت السيطرة حتى الآن. لكن جيبوتي تجد نفسها أيضاً في وسط منطقة بحر أحمر مشحونة بشكل متزايد، إذ ليست الولايات المتحدة والصين الجهتين الفاعلتين الوحيدتين اللتين تتسابقان لكسب النفوذ الجيوسياسي. فقد اكتظت المنطقة في السنوات الأخيرة بدول صغيرة (مثل الإمارات العربية المتحدة وقطر) وقوى متوسطة (المملكة العربية السعودية وإيران وتركيا) أخذت تشيد الموانئ التجارية والمراكز العسكرية ومشاريع البنى التحتية على ساحل البحر الأحمر الأفريقي سعياً منها إلى التحلي بالنفوذ في مناطق تتخطى جوارها. ويؤدي تنافسها على قدرة الوصول والنفوذ والحصة السوقية إلى جعل معالم الحدود القديمة بين الشرق الأوسط وأفريقيا غير واضحة وإلى إنشاء ديناميات عبر إقليمية جديدة.¹⁷

وكان لهذه الفورة في النشاطات أثرٌ بالغ، إيجابي وسلبي، في الدول في القرن الأفريقي واليمن.¹⁸ فقد سعت جيبوتي والدول المجاورة لها إلى الاستفادة من هذه الاستثمارات الجديدة من دون التخلي عن سيادتها أو الانجرار إلى المنافسات السامة.¹⁹ وقد برزت الأجندات الأجنبية بشكل مربٍ أيضاً في السياسات المحلية في المنطقة، في وقت يخوض فيه القرن الأفريقي مرحلة من التغيير السياسي الكبير.

فإلى غرب جيبوتي، يعمل القائدان الجديدان في أثيوبيا والسودان على الدفع بالعمليتين الانتقالتين الأهم، والأكثر هشاشة، اللتين تشهدهما بلدهما منذ نهاية

الحرب الباردة، وسترسم نتائجهما معالم الأمن والتجارة الإقليميين لجيل بكامله. وفي الجنوب، في الصومال، حيث كشف القراصنة عن هشاشة التجارة العالمية التي تعبر البحر الأحمر وخليج عدن، ما زالت الضربات الجوية الأمريكية، المنطلقة من جيبوتي، مستمرة ضد مقاتلي حركة الشباب. وبعد عقود من عدم الاستقرار، تضععت الآمال بأن الصومال يشهد أخيراً تغييراً بعد انتشار كلام بأن الانتخابات المخططة للعام 2020 في البلاد، وهي الانتخابات المباشرة الأولى منذ نصف قرن، ربما ستأجل.²⁰ وقد سعت أريتريا ومنطقة صوماليلاند شبه المستقلة في الصومال، ولكليهما حدود مشتركة مع جيبوتي، إلى الاستفادة من الاهتمام الأجنبي لتحسين وضعهما، وقد عرضت كلتاها استضافة جيوش أجنبية وأعربت عن اهتمامهما بتطوير موانئها الخاصة.²¹ (وجنوباً أكثر، تطمح كينيا وتنزانيا لجعل مدنها الساحلية مراكز نقل إقليمية، مما قد يقلل من حصة جيبوتي من السوق).

وأثرت التوترات بين المملكة العربية السعودية وإيران في وضع البحر الأحمر المتغير، فقد هدّد الحرس الثوري الإيراني بعرقلة التجارة التي تعبر باب المندب والممرات المائية المحاذية.²² وقد أثر نزاعهما في الحرب الأهلية في اليمن التي باتت الآن في عامها السادس والتي استقطبت شركاء وأراضي ومحاربين أفريقيين.²³ في غضون ذلك، هرب نحو ربع مليون لاجئ عبر باب المندب إلى أفريقيا، ناشدين ملاذاً آمناً في جيبوتي وأرجاء القرن الأفريقي.²⁴ وقد منح موقع جيبوتي الاستراتيجي وبنية موانئها التحتية وقواعدها الأجنبية وعضويتها المزدوجة في التكتلين السياسيين العربي والأفريقي على حد سواء فرصاً فريدة حتى الآن، لكن الجوار الآخذ بالانتكاز يضع أمام السلطات الجيبوتية، وضيوفها الأجانب، تحديات جديدة عليها أن تتعامل معها.

السياق الاستراتيجي الأوسع: منطقة المحيط الهندي-الهادئ

عند النظر إلى مركز البحر الأحمر في جيوتي من منظور استراتيجي أوسع، يمثل هذا المركز الجانب الغربي لميدان المحيط الهندي-الهادئ الذي تزداد أهميته، إذ يعتبر الكثيرون منطقة المحيط الهندي-الهادئ، وهي مساحة شاسعة تمتد من الساحل الغربي للولايات المتحدة إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، المسرح الأساسي الذي سيتم فيه التعامل مع بروز الصين. وتحتوي هذه المنطقة على خطوط تواصل بحري حيوية بين الشرق والغرب والقسم الأكبر من سكان العالم والناتج المحلي الإجمالي والتجارة البحرية والموانئ الضخمة. (وهي تضم الدولة الديمقراطية الكبرى في العالم، ألا وهي الهند، التي يشكل ثقلها وقدراتها البحرية وعدم ثقتها بـبكين عنصراً موازناً إزاء الصين).

وفي العام 2018، غير الجيش الأمريكي تسمية قيادة المحيط الهادئ إلى "قيادة المحيط الهندي-الهادئ" إدراكاً منه بالتزايد بين هذين المحيطين. وبعد سنة، أصدر البنتاغون استراتيجيةً للمحيط الهندي-الهادئ يعتبر فيها الحدود عبر المحيطية "المنطقة الأهم لمستقبل الولايات المتحدة". واعتبر الصين التهديد الأول للمصالح الأمريكية وللتنمية "الحرّة والمفتوحة" في المنطقة.²⁵ وثُبقي الولايات المتحدة على أكثر من 24 قاعدة في أرجاء المحيط الهندي-الهادئ، فضلاً عن ألفي طائرة ومئتي سفينة وغواصة وقبابة 370 ألف عسكري، على الرغم من أن أكثرية هذا العدي والعتاد متركز في غرب المحيط الهادئ.²⁶

//

...يعتبر الكثيرون منطقة المحيط
الهندي-الهادئ، وهي مساحة شاسعة
تمتد من الساحل الغربي للولايات
المتحدة إلى الساحل الشرقي لأفريقيا،
المسرح الأساسي الذي سيتم فيه
التعامل مع بروز الصين.

من الموانئ غرباً في الإمارات العربية المتحدة وعمان وكينيا وتنزانيا وجيبوتي. وفيما لا تزال الأسئلة مطروحة حول جدوى هذين الممرين البريين الجديدين،²⁸ تهدف هذه الشبكة إلى تسهيل قدرة الوصول إلى 125 دولة ضمن مبادرة الحزام والطريق والسير قدماً بطموحات المياه الزرقاء لجيش التحرير الشعبي ومنح بكين القدرة على كسب النفوذ في ميدان المحيط الهندي-الهادئ.²⁹

وعلى الرغم من تزايد في التركيز على المنطقة والقيمة الفريدة لقيام قاعدة بحرية أمريكية في جيوتي، لا تظهر جيوتي ولا مناطق غربي المحيط الهندي في الاستراتيجية الأمريكية للمحيط الهندي-الهادئ، التي ترسم حدودها الرسمية عند سواحل الهند الغربية.³⁰ وفيما لا بدّ من رسم الخطوط التي تفصل بين مناطق المسؤولية في مكان ما، يمكن أن تحدّ مواقع التماس البيروقراطية هذه، التي تنقسم بفعلها السلطات بين عدّة قيادات قتالية، من قدرة البنتاغون على توجيه نفسه من ناحية الاستراتيجية الكبرى. (يجدر الانتباه مثلاً إلى أن منطقة المسؤولية التابعة للقيادة العسكرية في أفريقيا تنتهي على بعد 12 ميلاً من الساحل الجيبوتي، مما يترك المسؤولية الرئيسية عن البحر الأحمر على عاتق القيادة المركزية الأمريكية). وتنبغي إعادة النظر في هذه الخطوط على ضوء الوقائع الجيوستراتيجية المتغيرة وينبغي جعلها مرنة كفاية للتجاوب مع التحديات الجديدة. وتشير التعليقات الأخيرة من المسؤولين الأمريكيين إلى أن الأمور قد تشهد المزيد من التعديلات. فقد أشار نائب مستشار الأمن القومي ماثيو بوتينغر للمرة الأولى، في منتدى ثنائي الأطراف مع الهند في يناير 2020، إلى أن الولايات المتحدة تعيد النظر في النطاق الجغرافي للمحيط الهندي-الهادئ، مُستبدلة ما يُعرف بإطار "هوليوود إلى بوليوود" بإطار "كاليفورنيا إلى كليمنجارو" الأوسع.³¹

ويزداد تحدي "نقاط التماس" البيروقراطية سوءاً بسبب هيكليات التحفيز السارية التي تعطي الأولوية لمكافحة الحروب والإرهاب وبسبب مفاهيم عتيقة عن القوة الوطنية تركّز أكثر من اللازم على الجيش وتبتعد كثيراً عن قوة التأثير الاقتصادية والدبلوماسية. في المقابل، ربّما الصين تعتمد مزيجاً أكثر فعالية من التجارة والتكنولوجيا ومهارة الحكم في ما يبدو أنه، عملياً، رؤية أوسع وأشمل للمحيط الهندي-الهادئ.

جيوتي: قاعدتان وتطلّعان

مع أن واشنطن وبكين كليهما تقدّران قيمة جيوتي الجيوسياسية، عرفت هاتان القوتان تجربتين مختلفتين تماماً هناك وتطلّعين مختلفين، بما في ذلك كيفية إدراج هذا الموقع في البحر الأحمر ضمن المشهد الاستراتيجي المذكور أعلاه.

وصلت الولايات المتحدة إلى جيوتي منذ عقدين مع أجندة محصورة لمكافحة الإرهاب تركّز بالإجمال على مهام في الصومال واليمن المجاورين. فاستحوذت على معسكر لومونيه، وهو مركز سابق للفيلق الأجنبي الفرنسي، بعد بضعة أسابيع فحسب من هجمات 11 سبتمبر 2001.

وتبيّن استثمارات الرئيس الصيني شي جن بينغ بدورها أهمية المحيط الهندي-الهادئ في مآرب بكين العالمية المتوسعة. ففيما يبقى شرق آسيا القطعة الأساسية في هذا المشهد، يظهر تحسين هذا الممر البحري الجديد بوضوح جليّ في الجزء الغربي من هذا المسرح، إذ يربط ممران بريّان جديدين، عبر باكستان وميانمار، الصين بموانئ المياه العميقة في المحيط الهندي،²⁷ وتكمّلها حصص في موانئ في سريلانكا وسلسلة

جمهورية جيبوتي: حقائق سريعة

عدد السكان:	مليون نسمة (78% في المدن)
المساحة:	23000 كيلومتر مربع
العاصمة:	جيبوتي
الاستقلال:	1977 (عن فرنسا)
اللغات:	الفرنسية (رسمية)، العربية (رسمية)، الصومالية، العفارية
الديانة:	95% السنية 5% المسيحية
الناتج المحلي الإجمالي:	3.17 مليار دولار (2019)
النظام:	جمهوري
رئيس الدولة:	الرئيس اسماعيل عمر جيله
	(1999 إلى الوقت الحاضر)

وشكّلت قاعدة لومونيه، وهي واحدة من مئات القواعد و"القواعد المستعارة" الأمريكية في الخارج، منذ تلك الآونة موقع تحضير لمهام مكافحة الإرهاب والمراقبة في أرجاء منطقة الشرق الأوسط، علماً أنّ العمليات تطوّرت لتشمل جهود مكافحة القرصنة واستخدمت القاعدة لمراقبة باب المندب المكتظ. وسدّدت واشنطن إيجار المنشأة السنوي لكنّ الاستثمارات المرافقة لذلك في جيبوتي كانت معدودة. ومع تراجع مكافحة الإرهاب كأولوية وطنية وإعادة نشر العديد والعائد الأمريكيين في أرجاء أفريقيا،³² تخضع المهمة الطويلة الأمد في لومونيه، وهي القاعدة الأمريكية الوحيدة الصامدة في أفريقيا،³³ لإعادة نظر.

وهذه القاعدة وليدة اتفاقية تعاون دفاعي موقعة في العام 2014،
35 ويؤمّن العقد إيجاراً سنوياً قدره
20 مليون دولار للحكومة الجيبوتية.

وهي مركز تخدم انطلاقاً منه المواطنين وعناصر حفظ السلام الصينيين وتنشر السلطة المترافقة مع تجارة مبادرة الحزام والطريق واستثماراتها وتقيم ردّ الفعل الدولي إزاء عرض العضلات الصيني خارج غربي المحيط الهادئ.

وافْتُتحت "قاعدة الدعم اللوجستي" التابعة للبحرية الصينية في أغسطس 2017 وتقع على بعد 9.6 كلم فقط شمالي غربي معسكر لومونيه. وهذه القاعدة وليدة اتفاقية تعاون دفاعي موقعة في العام 2014،³⁵ ويؤمّن العقد إيجاراً سنوياً قدره 20 مليون دولار للحكومة الجيبوتية.³⁶ وتمتدّ القاعدة على مساحة 364 ألف متر مربع على أرض تقع في الجهة الغربية من مدينة جيبوتي وتحاذي بشكل مباشر ميناء دوراليه المتعدد الاستخدامات.³⁷ وتضمّ ثكنات ومهبط طوافة ومنشآت تخزين تحت الأرض ورصيفاً بطول 300 متر.³⁸ وفيما تشير أقصى التقديرات إلى أنّها قادرة على استيعاب 10 آلاف جندي، تضمّ القاعدة حالياً ألف عنصر أو أقلّ على الأرجح، بحسب التقديرات الأمريكية.³⁹ ويفيد الملحّون الدفاعيون الأجانب في جيبوتي عن عدد كبير من الضباط عالي الرتبة في القاعدة، وهذه هيكلية قيادة برتب عالية تهدف إلى البحث برسالة إيجابية للحكومة المضيفة مع منح الضباط فرصة نادرة لكسب الخبرة والمكانة عبر الخدمة خارج البلاد.

خضعت هذه القاعدة بداية لإمرة القيادة المركزية الأمريكية، ثم انتقلت إلى القيادة العسكرية في أفريقيا عند تأسيسها في العام 2008. وشهدت لومونيه، التي تمّ تمديد عقد إيجارها عشرين سنة، عملية ترميم وتوسيع بقيمة مليار دولار في العام 2013-2014، وتبلغ مساحتها اليوم 2430000 متر مربع تقريباً، وتأوي 4 آلاف جندي ومتعاقد عسكري، إلى جانب طائرات مسيرة ومقاتلات أف-15 إي سترايك إيغل (F-15E Strike Eagle) وطائرة دورية بحرية من نوع بي-3 أوريون (P-3 Orion) وطوافات وطائرات نقل مختلفة.³⁴ ويؤمّن العاملون في لومونيه الدعم العمليّ للقيادة المركزية الأمريكية والقيادة العسكرية في أوروبا وقيادة العمليات الخاصة وتعاون عن كُتب مع الجهات الحليفة اليابانية والأوروبية المتمركزة في جيبوتي.

في المقابل، وصلت الصين إلى جيبوتي مؤخراً، بادئة باستثمارات اقتصادية ضخمة ثم ألحقتها بحضور عسكري دائم. وعلى الأرجح أنّ قاعدتها البحرية هي باكورة لانخراط استراتيجي أوسع في أفريقيا والبحر الأحمر وفي أرجاء المحيط الهندي. بناء على ذلك، هي أيضاً أرض تجارب، أي مكان يستطيع الضباط والجنود الصينيون فيه كسب خبرة في العمليات في البحار البعيدة وتقييم المنشآت البحرية الجديدة والتعلّم من الآخرين. وهي مركز تخدم انطلاقاً منه المواطنين وعناصر حفظ السلام الصينيين وتنشر السلطة المترافقة مع تجارة مبادرة الحزام والطريق واستثماراتها وتقيم ردّ الفعل الدولي إزاء عرض العضلات الصيني خارج غربي المحيط الهادئ.

الرسم 2: مدينة جيبوتي

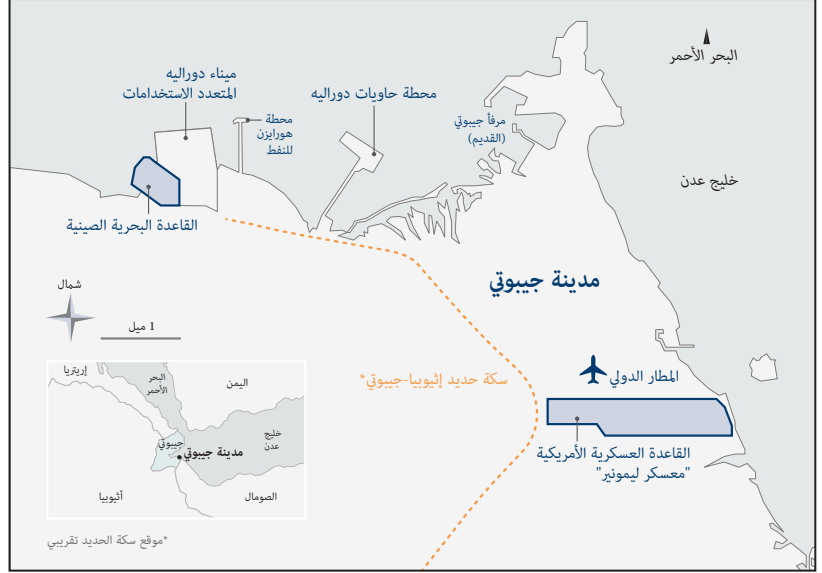
وعبر الدبلوماسيون الأمريكيون عن امتعاضهم وسعوا إلى حثّ جيله للعودة عن قراره، لكنّ صفقة الشراكة المتجددة سبق أن وُقعت، ممّا قلّل من نفوذ واشنطن. ومع استمرار المشروع الصيني بالنمو ومع بروز الخطط الصينية للتحلّي بحضور بحريّ، اجتمع مجلس الأمن القومي الأمريكي في عملية تجمع وكالات الأمن الأمريكية، وأفضى الاجتماع إلى سلسلة من "الخطوط الحمراء" حيال حضور الجيش الصيني العتيد وحيال القدرات التي سيسمح له بالتحلّي بها وحيال النواهي المفروضة على أيّ تدخّل في العمليات الأمريكية. وأطلع السفير الأمريكي جيله عن هذه الخطوط في بداية العام 2015، وتمّ التشديد على هذه الرسالة في زيارتين لاحقتين لوزير الخارجية جون كيري ونائب وزير الخارجية طوني بلينكن إلى جيبوتي في مايو 2015 وفبراير 2016 على التوالي.⁴²

وُصّح جيله بأنّه "يراهن مراهنة كبيرة" مع العلاقة الأمريكية وأنّ واشنطن قد تضطرّ إلى التفكير في نقل قاعدتها إن تمّ تجاهل مطالبها حيال الصينيين. بيد أنّ نقل القاعدة مشروع ضخم ومكلف ويعني التخلّي عن منصّة قيّمة للعمليات الأمريكية وسوف يشكّل سابقة عاطلة مع الصينيين. وبعد أقلّ من سنة، كانت الخطوط الحمراء تخضع للاختبار، مما جعل البعض يفكر في ما إذا تحدّى جيله الأمريكيين ليرى مدى جدّيتهم.⁴³

نحو قاعدة عبر البحار: العقيدة العسكرية الصينية

تعكس المنشأة البحرية الجديدة لجيش التحرير الشعبي في جيبوتي، فضلاً عن الجهود الأوسع لتطوير منشآت عبر البحار وقدرات حملاتية واتفاقات تعاون دفاعي، تحوّلًا في العقيدة العسكرية الصينية وابتعاداً عن مبادئ كانت مقدّسة سابقاً، بما في ذلك حظرٌ على تمركز الجنود على أرض أجنبية. لكنّ افتتاح منشأة كهذه لا ينبغي أن يشكّل مفاجأة، فالتوسّع العسكري الصيني يهدف إلى مقارعة اهتماماتها المتنامية في الخارج، وهذا سلوك ليس منطقياً ومتناسقاً تاريخياً مع القوى الصاعدة الأخرى فحسب بل هو سلوك تمّت الإشارة إليه بشكل مسبق.⁴⁴

فقد تمّ التناقش في إنشاء قواعد عبر البحار في الأوساط الأكاديمية والعسكرية الصينية لأكثر من عقدَيْن. ووجود مجرد قاعدة واحدة اليوم يوحى للبعض باعتماد مقاربة "تدرجية وحذرة".⁴⁵ وقد بدأ موقف الصين بالتطوّر في أواسط العقد الأول من القرن مع سلسلة من الكتب البيضاء عن الدفاع وتحاليل مرافقة تطرّقت إلى التوتر بين مصالح بكين المتنامية عبر البحار وسياساتها التقليدية القاضية بعدم التدخّل ونشر جنود في الخارج. وتقدّمت هذه التحاليل ببطء لكن بثبات ولمّحت إلى أنّ القواعد الأجنبية، لكن بمزايا صينية، سوف تصبح أمراً واقعاً.⁴⁶



مساحة مكتنّة بالقوى العظمى

في ربيع العام 2014، سافرت مستشارة الأمن القومي الأمريكي سوزان رايس إلى جيبوتي لزيارة الرئيس إسماعيل عمر جيله. وكان هدفها الأساسي وقف محاولة من موسكو لتأسيس قاعدة عسكرية روسيةٍ محاذةٍ معسكر لومونيه. ومقابل رفض الروس، الذين كانت توتراتهم مع الولايات المتحدة متأججة بسبب أوكرانيا، عرضت رايس مضاعفة الإيجار السنوي الذي تدفعه واشنطن مقابل المعسكر، من 30 مليون دولار إلى 63 مليوناً.⁴⁰ فقبل الجيبوتيون، واعتُبرت هذه الخطوة نجاحاً باهراً.

لكن ما لم تعلمه واشنطن أنّ جيبوتي سبق أن بدأت محادثات مع غريم آخر أقوى. وتبعاً لأحد المسؤولين الأمريكيين، عكس التفكير في عرض من الصين "فلسفة جيبوتية عن "السماح لألف زهرة بالتفتح". فقد أمنت استضافة عدّة جيوش أجنبية للحكومة إيجارات سنوية تفوق قيمتها مئة مليون دولار وزادت من التنوّع في علاقاتها الأجنبية وخدمت دفاعها الوطني، عبر تقديم بوليصة تأمين ضدّ أيّ دولة مجاورة لجيبوتي قد تميل إلى "ابتلاعها".⁴¹

وكانت الخطط للانخراط الصيني في ميناء جديد متعدّد الاستخدامات معروفة آنذاك، لكن عندما تمّ التأكد من الشائعات عن حضور عسكري مرافق لهذا الميناء، تواصل الدبلوماسيون الأمريكيون مع القصر الرئاسي للحصول على معلومات. فسعى جيله وإدارته باستمرار إلى التخفيف من المخاوف الأمريكية، فلم يُلمّح سوى إلى احتمال انتشار وحدة عسكرية صينية صغيرة. فاشتاط مسؤولو الإدارة في واشنطن غضباً، إذ كان الجيبوتيون قد قبلوا لتوهم بصفقة مربحة تهدف جزئياً إلى الحؤول دون دخول الروس، لكنهم التّفوا ودعوا الصين من الباب الخلفي.

هو ما إذا كانت العمليات غير القتالية وغير العدائية ظاهرياً للجيش الصيني في جيوتي والبحار المجاورة ستتطور إلى مهمات عسكرية يُحتمل أن تكون مُهددة وذات غايات أبعد وكيف ومتى.⁵⁴ ويشير المراقبون إلى القدرات المزدوجة الاستخدام وإلى نشر منصات بحرية متطورة، أي سفن تتجاوز المهمات المحدودة للقاعدة، كمقياس مهم لهذا التقدم. ويشير مسؤولون في البنتاغون إلى نشر مدمرات من فئة لويانغ 3 (Luyang III) التي تحمل صواريخ موجهة في خليج عدن في سبتمبر 2019 كأحد الأمثلة على ذلك.⁵⁵

ومع أن القدرات الصينية تبقى متواضعة، يعتقد البعض أن الانتقال إلى مهمات عالية المستوى جارٍ على قدم وساق. وقد اختصر مسؤول أمريكي الوضع بقوله: "ما تمّ اعتباره قاعدة دعم لمهام حفظ السلام ومكافحة القرصنة يتمّ تحويله ببطء إلى منصة نشر للسلطة".⁵⁶

تمنح القاعدة البحرية الصينية الضباط

والجنود الصينيين فرصة للتعليم في

خلال تأدية عملهم عبر التعاطي مع

النظر في الدولة المضيفة والتعامل

مع المعايير المحلية. وتمنح أيضاً الفرصة

للعمل عن كثب مع قوّات أجنبية أكثر

تمرساً، ولا سيّما الجيش الأمريكي.

ولا تقتصر هذه المخاوف على جيوتي، إذ شهدت الدبلوماسية العسكرية لجيش التحرير الشعبي ازدياداً، بما في ذلك زيارات إلى الموانئ ومناورات مشتركة وتبادلات رفيعة المستوى مع الدول في أرجاء البحر الأحمر والمحيط الهندي-الهادئ. وقد جذبت الزيارات التي تجريها السفن الحربية الصينية في موانئ مدنية عسكرية مزدوجة الاستخدام اهتماماً لافتاً، ولا سيّما عندما تمّول هذه الموانئ شركات صينية تابعة للدولة أو تشغلها. ويشير هذا المزج بين الأجندين التجارية والاستراتيجية، وهي ميزة من مزايا نموذج الدولة الصيني، للبعض إلى أن الجيش الصيني يمكنه الاستفادة من هذه المنشآت أو تحسينها لغايات عسكرية في حال دعت الحاجة.⁵⁷

التواصل الأمريكي الصيني في جيوتي

تمنح القاعدة البحرية الصينية الضباط والجنود الصينيين فرصة للتعليم في خلال تأدية عملهم عبر التعاطي مع النظراء في الدولة المضيفة

وتلا ذلك إنجاز مهمّ في العام 2008، عندما بدأت البحرية الصينية، بمطالبة من واشنطن، بالمشاركة في عمليات مكافحة القرصنة المدعومة من الأمم المتحدة في خليج عدن.⁴⁷ فنشرت الصين أكثر من 30 فرقة عمل بحرية على مدى العقد الذي تلى، ورافقت آلاف السفن التجارية عبر خليج عدن والبحر الأحمر.⁴⁸ وسمحت عمليات النشر هذه لبحرية جيش التحرير الشعبي بـ"تطوير قدرتها اللوجستية في المياه الزرقاء وتبرير حضورها العسكري بعيداً عن السواحل الصينية" وبفعل ذلك من دون التسبب بتدقيق دولي.⁴⁹

وكان وقوع الاختيار في نهاية المطاف على جيوتي لبناء أول قاعدة دائمة بدوره بناء على فكرة أن خمس قوى عسكرية أجنبية أخرى تعمل أصلاً هناك. والانضمام إلى مجموعة مكتظة أصلاً سيؤدي إلى مستوى أقل من الانتباه أو الانتقاد مقارنة بتأسيس قاعدة صينية مستقلة في مكان آخر في البحر الأحمر أو غربي المحيط الهندي.

وبحلول العام 2015، وبعد أن كانت بكين قد سبق أن اتفقت على بناء قاعدة جيوتية، عبّرت وثيقة الاستراتيجية العسكرية السنوية لبكين عن مبررات أعالي البحار بعبارات صريحة:

"مع نمو مصالح الصين الوطنية، بات أمنها القومي أكثر تأثراً بالاضطرابات الدولية والإقليمية والإرهاب والقرصنة والكوارث الطبيعية الخطيرة والأوبئة، وأصبح أمن المصالح عبر البحار في ما يخص الطاقة والموارد وخطوط التواصل البحري الاستراتيجية، فضلاً عن المؤسسات والأفراد والأصول في الخارج، مسألة وشيكة... من الضروري للصين أن تضع هيكلية قوة عسكرية بحرية حديثة تتوافق مع مصالح أمنها وتنميتها القوميين وأن تحمي سيادتها الوطنية وحقوقها ومصالحها البحرية وأن تحمي أمن خطوط التواصل البحري الاستراتيجية ومصالحها عبر البحار وأن تشارك في التعاون البحري الدولي، من أجل تأمين الدعم الاستراتيجي لتتحول إلى قوة بحرية".⁵⁰

ويعني هذا لـ"قاعدة الدعم اللوجستي" في جيوتي: تسهيل عمليات مكافحة القرصنة ودعم قوّات حفظ السلام الصينية في أفريقيا وغرب آسيا⁵¹ وحماية مواطنيها عبر البحار، بما في ذلك الإنقاذ والإخلاء الطارئان، والأهم، حماية المسارات البحرية الاستراتيجية.⁵² ويمكن فهم هذه المصلحة الأخيرة بأنها حماية تدفقات النفط من المنطقة فضلاً عن حماية مصالح الشحن التجاري بين أوروبا وأفريقيا والبر الرئيسي الصيني. (ويسلط الضوء أيضاً على أن واشنطن وبكين تتشاركان مصلحة أساسية في المحافظة على خطوط تواصل بحري مفتوحة عبر باب المندب وصولاً إلى قناة السويس).

علاوة على هذه الأهداف المتواضعة نوعاً ما، يدرس الاستراتيجيون الصينيون احتمالية الحظر من الولايات المتحدة أو حلفائها في حال نشوب صراع كبير.⁵³ بالتالي السؤال الذي يطرحه الاستراتيجيون الأمريكيون

فما هو العائق الطاغي؟ المخاوف الأمريكية من مكافحة التجسس وسياسة لدى البنتاغون تقيد التواصل مع جيش التحرير الشعبي. فقد فسر مسؤول دفاع أمريكي قائلاً: "إنهم جامعون محترفون. وفي أي انخراط نخسر أكثر مما نكسب". وبالنسبة إلى وزارة الدفاع الأمريكية، احتمالية أن تكسب بكن معرفة حول إجراءات التشغيل أو القدرات الحساسة أو الممارسات الفضلى تفوق أي مكسب، ولا سيما عندما لا يكون لكل تفاعل تداعيات محلية فحسب بل "تداعيات عالمية محتملة".⁶¹ بالتالي، مع أن الضباط الأمريكيون في جيوتي يحضرون فعاليات متعددة الأطراف مختارة في القاعدة الصينية، غالباً ما يرفضون الدعوات.⁶²

ويقول القادة في معسكر لومونيه إن العناصر الصينيين متحمسون للنعاطي معهم عند كل فرصة سانحة، ويعدّون قائمة طويلة من محاولات جمع المعلومات في القاعدة وأماكن أخرى في مدينة جيوتي، وهي محاولات خرقاء وغير مؤذية نسبياً. لكنهم يتدّمرون أيضاً من أن صانعي القرارات في قسم السياسات في البنتاغون، الذي يعطي موافقته على كل التواصل بين العناصر الأمريكيين والصينيين، ينفرون بشكل غير معقول من المخاطر. ويرغب بعض من يعمل على الأرض في التحلي بآلية أمتن للحد من النزاعات لا أكثر، فيما يريد آخرون اختبار وضعية أكثر حزمًا، إذ يقول أحدهم: "تأكدوا أن هذا هو الخطّ الأمامي في منافسة القوى الكبرى. ولا ينبغي علينا تفادي كل التواصل مع جيش التحرير الشعبي بل علينا العمل على تحديّه وتسليط الضوء على أخطائه كلما تسنى لنا ذلك".⁶³

وقد تمّ تفادي الأحداث العدائية بين الجيشين حتى الآن، باستثناء حادثة بارزة للغاية في العام 2018، عندما زعم مسؤولون أمريكيون إن قوات الجيش الصيني استهدفت الطيارين الأمريكيين في عدة مناسبات بأشعة ليزر من المستوى العسكري، وهذا أمر يمكنه أن يبلبل الطيارين ويؤدي إلى إصابتهم. وقد نفت وزارة الدفاع الوطني الصينية بشكل قاطع هذه الحوادث التي نالت انتباهاً دولياً.⁶⁴

حضور الصين الاقتصادي

بدأ الانخراط الصيني في جيوتي بالتسارع في العام 2013 وساعد على أن تحقّق البلاد نمواً اقتصادياً مستمراً في السنوات التي تلت، وهو اتجاه كان من المتوقع أن يستمر،⁶⁵ إلى حين ظهور فيروس كورونا المستجد. وقد ارتفع الناتج المحلي الإجمالي من 1,3 مليار دولار في العام 2012 إلى 3,1 مليار في العام 2019.⁶⁶ وتُعزى هذه المكاسب جزئياً إلى تطوير ضخ للبنى التحتية بتمويل من قروض صينية، وجزئياً إلى حجم تبادل تجاري أكبر من خلال مجمّع الموانئ المتوسّع في البلاد. لكنّها ترافقت أيضاً بترامح سريع للديون الأجنبية.

يمكن فهم مشروع بكن في جيوتي كجزء من سلسلة من الاستثمارات الاقتصادية والاستراتيجية التي تغطّي منطقة البحر الأحمر وتمتدّ في أرجاء الجانب الشمالي من المحيط الهندي. وهذا هو عماد طريق الحرير البحرية الجديدة لدى بكن،

والتعامل مع المعايير المحلية. وتمنح أيضاً الفرصة للعمل عن كثب مع قوات أجنبية أكثر تمّرساً، ولا سيما الجيش الأمريكي. ويفيد قائد أمريكي رفيع المستوى في ليمونيه بأنهم "يتعلّمون... وبسرعة"، مردّداً بذلك وصفاً غالباً ما يذكره المراقبون الأجانب في جيوتي. وقد أدّى التواصل بين الوجدتين الأمريكية والصينية إلى بروز بعض المخاوف المشروعة بشأن السلامة وتخفيف حدّة النزاعات ومخاطر مكافحة التجسس، فضلاً عن صدور أوامر صارمة من البنتاغون تحدّ من الانخراط. لكنّ هذا الأمر يمنح الجيش الأمريكي أيضاً فرصة، لم تتحقّق حتى الآن، بتغيير منهاج جيش التحرير الشعبي والتأثير في شروط الانخراط الأمريكي الصيني عبر البحار في المستقبل.

ولأولئك الذين يميلون إلى الانخراط مع الصينيين، يُعتبر تخفيف حدّة النزاع الجوّي والبحري سبباً كافياً، وإلا تخاطر هاتان الدولتان بمواجهة أحداث غير مرغوبة ورّما خطيرة عند العمل في مواقع مكتظة. ويفيد المسؤولون الأمريكيون عن عدد من الحوادث غير المريحة برّاً وبحراً التي يمكنها أن تسبّب تصعيداً غير مقصود إن تمّت إدارتها بشكل غير ملائم.⁶⁸ (ومن المرجّح أيضاً أن تزيد الحركة البحرية في مجمّعات الموانئ المتوسّعة في جيوتي، مما يمكنه أن يزيد من التنافس بين السفن العسكرية والتجارية في بيئة تشغيلية مزدحمة أصلاً).⁶⁹

ففي العام 2018، تبين أن مُتّجّهات الطيران واحدة من نقاط الاحتكاك تلك، لأنّ كلّ الجيوش الأجنبية تستعمل مطار جيوتي الدولي الوحيد. وقد اشتكى ضباط الجيش الصيني لنظرائهم الجيوتيين من أن الطائرات الأمريكية والأجنبية الأخرى تحلق عمداً فوق قاعدتهم الجديدة لغايات المراقبة. وعندما شرح القادة في ليمونيه أن مُتّجّهات الاقتراب حدّدها جهاز التحكم بالحركة الجوية الجيوتية (وتبعاً لوقائع جغرافية)، أفيد أن الضباط الصينيين رفضوا التصديق بأنّ الجيش الأمريكي يأتمر للسلطات المدنية الجيوتية. ردّاً على ذلك، لم يطلب الصينيون إجراء تغييرات في المُتّجّهات فحسب بل وضع قيود خاصة للمجال الجوي حول قاعدتهم وفوقها. وخوفاً من أن تضع السلطات الجيوتية سابقة عبر الانصياع لطلبهم، اتفقت الجهات الفاعلة العسكرية والدبلوماسية والتجارية الغربية على التعبير كلّ على حدة عن تحفظاتها للحكومة المُضيفّة. في النهاية، رفض الجيوتيون الطلب ومنحوا الجيش الصيني الحماية للمجال الجوّي ذاتها الممنوحة للقواعد العسكرية الأجنبية الأخرى.⁶⁰

وفيما يفيد الضباط الأمريكيون عن تواصل شبه منتظم بين الملحقين الدفاعيين الدوليين، ما من ترتيب ثنائي الأطراف أو متعدّد الأطراف تنسّق بهجبه بشكل منهجي القوّات الأمريكية والصينية والقوّات الأجنبية الأخرى العمليات وتحدّ من نزاعاتها. ففي العام 2018، أطلق السفراء الغربيون في جيوتي تجمّعاً مخصّصاً لهذه الغاية، ودعوا الممثّلين الصينيين والأمريكيين والفرنسيين واليابانيين والإيطاليين والجيوتيين. لكن على الرغم من أن المشاركين تحدّثوا عن منافع ملموسة، لم تصبح لهذه الآلية صيغة رسمية.

بالاعتماد على المجموعة الأولى من القروض وضع رؤوس الأموال في العام 2013، زار جيله الصين في الأعوام 2017 و2018 و2019، ووقع في كل مرة المزيد من اتفاقيات التعاون، في مجالات المالية والتكنولوجيا والزراعة والبنية التحتية.⁷⁰ والحكم المترسخ والمُشخص بشدة الذي يتسم به جيله، الذي استلم سدة الرئاسة من خاله منذ أكثر من عشرين سنة وترأس منذ تلك الآونة نظاماً زبائياً مضبوطاً بعناية، يجعله شريكاً جذاباً للغاية. ففيما يشتكي النقّاد من الفساد والتفاوت، قدّم جيله، الذي يبلغ من العمر 73 سنة والذي سيفوز على الأرجح بالرئاسة للمرة الخامسة في العام المقبل، للمسؤولين الصينيين والشركات التي تملكها الدولة ما يريدونه بالضبط: الاستقرار والمرونة ورجل قوي يدعم كلامه بالأفعال.⁷¹

ودوافع بكين معروفة تماماً لشركاء البحر الأحمر على غرار جيله، لكنّها أيضاً لا تتعارض مع تطّعاتهم الاقتصادية الخاصة. فلم تلق النداءات الأمريكية بشأن سلوك الصين المخالف للأنظمة والضغط لاختيار جهة آذاناً صاغية عموماً، فللدول المتخلفة على غرار جيبوتي الكثير لتكسبه من رفع العلاقات إلى أعلى مستوياتها مع الصين والغرب على حدّ سواء. ففي العام 2017، اشتكى جيله علناً من "تركيز" أمريكي على الصينيين، مشيراً إلى شكاوى مستمرة من الأمريكيين من أنّ الحضور الصيني يسبّب لهم المشاكل. وقد وصف الشركاء الغربيين بأنهم "مشاركين غائبين" وقال إنّ الصينيين وحدهم يقدمون لجيبوتي "شراكة طويلة الأمد".⁷²

**فلم تلق النداءات الأمريكية بشأن
سلوك الصين المخالف للأنظمة
والضغط لاختيار جهة آذاناً صاغية عموماً.**

ازدهار البنية التحتية

ترتكز استثمارات الصين في جيبوتي على ثلاثة مشاريع بنى تحتية ضخمة: ميناء جديد متعدّد الاستخدامات وسكّة حديد بقياس دولي المعيار إلى أثيوبيا وأنبوب ماء يمتدّ أيضاً إلى أثيوبيا. وكلّ مشروع من هذه المشاريع ممّول بقروض من مصرف الصين للاستيراد والتصدير تبلغ قيمتها مجتمعة 1,5 مليار دولار. وتترافق هذه المشاريع الكبيرة بمجموعة من الأعمال الداعمة ومنطقة تجارة حرة جديدة وعمليات ضخّ لرأس المال الخاص، بما في ذلك استحواذ مجموعة تشاينا مرتشانتس (China Merchants Group) في العام 2013 على حصة ملكية نسبتها 23,5 في المئة من هيئة الموانئ الوطنية في جيبوتي التي تدعى هيئة الموانئ والمناطق الحرة في جيبوتي (DPFZA).⁷³

وبرزت جيبوتي، التي انضمت رسمياً إلى مبادرة الحزام والطريق في العام 2018، كمخزن شديد الأهمية. بيد أنّ الدافع لقرار الاستثمار بمبالغ ضخمة أتى أيضاً برغبة من الصين في نيل حصة من السوق في أثيوبيا المجاورة، وهي دولة تضمّ 110 ملايين نسمة وتتحلّى بإمكانات نموّ هائلة وبحاجات كبيرة في مجال البنية التحتية والطاقة وبطبقة اجتماعية استهلاكية متوسّعة. وقد استثمرت الصين مليارات الدولارات في أثيوبيا في السنوات الأخيرة، مُطلقة طفرة في البناء حولت أديس أبابا. وتشكّل مباني المدينة الشاهقة وطرقاتها وسككها الحديدية الخفيفة ومصانعها ومناطقها الاقتصادية الحرة دليلاً على شراكة متوسّعة بسرعة مع واحد من أهمّ الأطراف الفاعلة في أفريقيا.

**بيد أنّ الدافع لقرار الاستثمار بمبالغ
ضخمة أتى أيضاً برغبة من الصين في
نيل حصة من السوق في أثيوبيا المجاورة،
وهي دولة تضمّ 110 ملايين نسمة
وتتحلّى بإمكانات نموّ هائلة وبحاجات
كبيرة في مجال البنية التحتية والطاقة
وبطبقة اجتماعية استهلاكية متوسّعة.**

في غضون ذلك، الهدف واضح بالنسبة إلى جيبوتي: على غرار سنغافورة، تريد الاستفادة من موقعها الجغرافي الفريد على جانبي مسار شحن تجاري مهم لتصبح مركز لوجستيات وخدمات ونقل عالمياً في عالم يميل نحو آسيا والمحيط الهندي-الهادئ. فعلاوة على مجمّع موانئها المتنامي، لا تتضمّن رؤيتها الأكثر طموحاً موانئ ومناطق اقتصادية حرة فحسب، بل مركزاً تجارياً جديداً ومطاراً وفنادق وكازينوهات وتبضّع بدون ضرائب وغيرها. فقال أحد الداعمين الجيبوتيين المتحمسين عن الرؤية سائلاً: "لماذا علينا أن نرى الأفريقيين يطيرون فوق رؤوسنا متجهين إلى دبي؟ لنكُنْ سنغافورة أفريقيا أو دبي أفريقيا".⁶⁷

لتحقيق هذا الهدف، وضعت جيبوتي خطة تنمية طموحة اسمها "رؤية 2035" في العام 2014، مستعينة ببنية تحتية مدعومة من الصين بالإجمال كمحفّز لبناء "اقتصاد منتج وتنافسي ومتنوّع" يمكنه تسريع النمو فيعالج بالتالي الفقر والبطالة والعجزات الأخرى.⁶⁸ وعرضت بكين شراكها كالوقود لتحول جيبوتي الاجتماعي الاقتصادي ولتطلّعاتها لتصبح مركزاً متعدّد الاستخدامات يربط ثلاث قارّات.⁶⁹ وسلّطت الضوء أيضاً على منافع التكامل الاقتصادي في أرجاء القرن الأفريقي، وهو من المناطق الأقلّ ترابطاً في أفريقيا، واعتبرت أنّ لمشاريعها الفضل في إيجاد عشرات الآلاف من فرص العمل.

الرسم رقم 3: دين البنى التحتية الكبيرة⁷⁴

المشروع	فترة البناء	التمويل	الشركة البانية	شروط القرض	كلفة المشروع الإجمالية (بالدولار الأمريكي)	قيمة القرض (بالدولار الأمريكي)
ميناء دوراليه المتعدد الاستخدامات	بين عامين 2014 و 2017	مصرف الصين للاستيراد والتصدير	شركة الصين الحكومية لهندسة البناء	عام 2016 استحقاق بعد 20 سنة معدل فائدة 2 في المئة فترة سماح 5 سنوات	580 مليوناً	344 مليوناً
سكة حديد بين جيبوتي وأثيوبيا (القسم الذي يقع في جيبوتي)	بين عامين 2012 و 2016	مصرف الصين للاستيراد والتصدير	شركة الصين لبناء سكك الحديد	الشروط الأولية: عام 2013 استحقاق بعد 20 سنة معدل فائدة 3 في المئة زائد سعر الفائدة السائد بين بنوك لندن (ليبور) بعد إعادة الهيكلة: عام 2019 استحقاق بعد 30 سنة معدل فائدة 2,1 في المئة زائد ليبور	595 مليوناً	492 مليوناً
أنبوب ماء بين جيبوتي وأثيوبيا	بين عامين 2015 و 2017	مصرف الصين للاستيراد والتصدير	شركة سي جي سي للبناء عبر البحار المحدودة (CGCOC)	عام 2013 استحقاق بعد 20 سنة معدل فائدة 2 في المئة فترة سماح 5 سنوات	339 مليوناً	322 مليوناً
المجموع					1,51 مليار	1,16 مليار

تسعينيات القرن التاسع عشر أحد أبرز مشاريع مبادرة الحزام والطريق لدى الصين في أفريقيا. وهَدَفَ مشروع السكة الحديدية هذا إلى إبراز التكنولوجيا والهندسة الصينيتين، وما هو، في الرؤى الأكثر طُموحاً في مبادرة الحزام والطريق، إلا قسماً من سكة حديدية تعبر أفريقيا من شرقها إلى غربها.⁷⁸ والقسم الجيبوتي من السكة، وهو قرابة مئة كيلومتر من الميناء إلى الحدود الأثيوبية، جزءٌ من مشروع أكبر قيمته 3,5 مليار دولار يهدف إلى إطلاق العنان للإمكانات الاقتصادية الأثيوبية الكاملة وتسهيل التوسع الصيني هناك. ولم تكن شروط القرض للسكة الحديدية ملائمة بالقدر الذي أرادته السلطات الجيبوتية ونصح مسؤولو صندوق النقد الدولي برفض المشروع، لكنَّ الجيبوتيين شعروا بأن لا مجال لهم للمناورة نظراً إلى الأطراف الفاعلة الأضخم بكثير التي تركز عليها هذه الصفقة التحويلية رُحماً.

وينقل خط أنابيب المياه الأثيوبي الجيبوتي المياه الجوفية من أثيوبيا إلى البلدات الجيبوتية الرئيسية للمساعدة على الحد من النقص المزمن في الماء. وبسبب الهفوات المالية والتشغيلية، تسدَّد الحكومة حالياً خدمات الدين لسكة الحديد وخط أنابيب المياه على حدٍّ سواء، علماً أنَّ استهلاك الدين لخط أنابيب المياه من المفترض أن يبدأ في العام 2022.

واستكمالاً لرؤية جيبوتي بالتحوّل إلى مركز خدمات وتجارة عالمي المستوى، بدأت هيئة الموانئ الوطنية، مع تشابنا مرتشانتس وهيئة دالان للموانئ كطرفين شريكين، بالعمل على منطقة تجارة حرة دولية في العام 2017. وسُتستتبع المرحلة الأولى، التي تشمل قرصاً بقيمة 250 مليون دولار من مصرف التنمية الصيني، بتطوير ثلاث مناطق محاذية على مدى العقد

وقد زاد ميناء دوراليه المتعدّد الاستخدامات، الذي يمكنه مناولة الشحن بالجملة والشحن العام وبعض الشحن بالحاويات، من قدرة الاستيعاب بشكل هائل مقارنة بـ"الميناء القديم" في جيبوتي.⁷⁵ وتشغّل مجموعة تشابنا مرتشانتس الميناء وتملك حصّة أقلية فيه، وقد تبَيَّن أنَّ عائدات الميناء كافية لخدمة الدين المخصّص له. وفيما جذب مشغّلو الميناء الصينيون وموقع الميناء بمحاذاة القاعدة العسكرية الصينية انتباهاً كبيراً، ليس دوراليه سوى واحد من مجموعة كبيرة من منشآت الموانئ القائمة والجديدة.

ومع القدرة على مناولة 1,6 مليون حاوية في السنة، محطة دوراليه للحاويات، التي تقع شرق ميناء دوراليه المتعدّد الاستخدامات، هي في الواقع "درّة" مجمّع الموانئ في البلاد ومصدر الإيرادات الأهم فيها (المزيد من المعلومات عن محطة الحاويات والمخاوف من فتح الديون أدناه).⁷⁶ وتؤمّن محطة هورايزون للنفط، التي تقع بين المرفأين، خدمة تخزين السوائل وتزويد الوقود للسفن التجارية والعسكرية، بما في ذلك كلّ إمدادات الوقود للجيش الأمريكي. وعلى مسافة أبعد في خليج تاجورة في جيبوتي يقع ميناء قيمته 90 مليون دولار مخصّص للسماح الآتي من أثيوبيا المجاورة وميناء غوبة الذي تبلغ قيمته 64 مليون دولار، وهو منشأة متخصصة أخرى تصدر الملح المُستخرج من بحيرة عسل في جيبوتي إلى الصين.

أما سكة الحديد الجديدة بين أثيوبيا وجيبوتي فهي الشريان المُصمَّم لربط هذه الموانئ بسوقها الأساسية.⁷⁷ وتعتبر سكة الحديد بالقياس الدولي هذه التي تحلّ مكان خطّ القطار الفرنسي البائد منذ زمن والمبني في

بأثر هذه المكاسب، ويرى الكثيرون أن السخاء الصيني يعزّز نظام حكم فاسداً أصلاً. فقال عامل خدمات صريح: "لا نحب الصينيين. لا أعرف أحد هنا يحب الصينيين".⁸⁶ بيد أنه ما من مجال لهذا النوع من المعارضة أو للكلام العلني على تداعيات الشراكة مع بكين، لأن حكومة جيله تُبقي الخناق ضيقاً عليهما.

ويُبدى النقاد قلقهم من هوة متباعدة بين صناعة موانئ تتطور بسرعة، والنخبة السياسية والمالية التي تديرها من جهة، وباقي البلاد من جهة أخرى، إذ يضع الدخل القومي الإجمالي للفرد جيبوتي في مصاف البلدان التي تقع في الشريحة الدنيا من فئة الدخل المتوسط،⁸⁷ لكن هذا التصنيف يخفي واقعاً مُقلقاً أكثر بكثير لمعظم المواطنين. ففيما تكسب نسبة 10 في المئة نصف الدخل كله،⁸⁸ تضع مؤشرات الفقر والصحة والعمالة والتعليم جيبوتي في المرتبة 171 في دليل الأمم المتحدة للتنمية البشرية، أي في أدنى المراتب.⁸⁹ وكلفة الكهرباء والاتصالات من بين الأعلى في المنطقة، على الرغم من أن جيبوتي تقع عند تقاطع سبع كابلات ألياف بصرية مهمة تربط أوروبا بآسيا.⁹⁰



على الرغم من طفرة الاستثمارات الصينية ومعدلات النمو المرتفعة، لم تطل هذه التغييرات الجميع بعد، فمعظم الجيبوتيين العاديين لا يشعرون بأثر هذه المكاسب، ويرى الكثيرون أن السخاء الصيني يعزّز نظام حكم فاسداً أصلاً.

ويقول أحد السفراء الغربيين في جيبوتي: "لقد استغلوا الحوكمة الرديئة في هذه البلاد وزادوها سوءاً بشكل فظيع. إنهم يقتلون هذه البلاد".⁹¹ ويعتقد المشككون الأجانب والمحليون أن كلام بكين عن التنمية "التي يخرج فيها الكل فائزاً" هزلية وأن الانخراط الصيني فاقم سوء إدارة القطاع العام وبيئة الأعمال الرديئة وجعل في الوقت عينه جيبوتي تعاني اختلالاً هائلاً في الميزان التجاري وبناء رديء النوعية ودينياً تعجيزياً.⁹² ويشكي بعضهم من أن الممارسات المريبة التي تقوم بها الشركات الصينية تعني أن التعاطي مع الأمور ليس على قدم المساواة، مما يُرغم الشركات الغربية العاملة منذ عقود في جيبوتي على التوقف عن العمل بعد أن زابتها الشركات الصينية المنافسة باستمرار.⁹³ ويفيد المسؤولون الفرنسيون أن اعتماد معايير تجارية أكثر عدلاً كان على رأس لائحة البنود في أجندة الرئيس إيمانويل ماكرون عندما زار جيبوتي في العام 2019، وهي الزيارة الثانية لا أكثر لرئيس فرنسي في عقدتين من الزمن.

المقبل، وهو مشروع قيمته مليارات الدولارات يأمل المطوّرون بأن يصبح أكبر منطقة حرة في أفريقيا.⁷⁹ لكن حتى أواسط العام 2019، لم تتسجل في هذه المنطقة سوى 36 شركة وبقي قسم كبير من الحيز الأولي الذي يمتد على مساحة 2,5 كيلومتر غير مطوّر.⁸⁰ وقد وصف مستثمر أجنبي هذه المنطقة "خطة خيالية محض"، مردداً أقوال أولئك الذين يرون في النشاط المحدود في الموقع دليلاً على أن المشروع لن يتحقق.

الخط الكبير: حقيقة أم خيال؟

يتحدث المطوّرون ومسؤولو هيئة الموانئ عن مشاريع أخرى بقيمة 11 مليار دولار لا وجود لها حتى الآن سوى في مقاطع الفيديو الترويجية وعقول أكثر المدافعين عنها تفاؤلاً. وفي أعلى لائحة المشاريع ميناء حاويات جديد ومطاران جديدان وتطويران متعدداً الاستخدامات يهدفان إلى تحقيق الطموحات بأن تصبح جيبوتي "سنگافورة أفريقيا".⁸¹

ويهدف المشروع الأول في هذه المخططات الضخمة إلى تحويل "الميناء القديم" المتقادم في جيبوتي إلى واجهة بحرية عالمية المستوى، تضم منطقة أعمال حديثة جداً ومحطات للرحلات البحرية ومارينا ومركز مؤتمرات وفنادق ومنتجعات ومنتزهات ومجمعاً رياضياً ومتاجر تبضع بالتجزئة. ويشير الداعمون إلى أن مناقصة المشروع فازت بها تشاينا مرتشانتس، الشركة ذاتها التي شيدت مجمع ميناء شينزن الضخم في محافظة غاوندونغ والتي تملك أصلاً حصصاً في هيئة موانئ جيبوتي.⁸² أما المشروع التحويلي الثاني فهو مجمع صناعي آخر وميناء ومجمع للتجارة الحرة في بلدة داميرجوغ، على بعد 10 أميال جنوب مدينة جيبوتي. وتتضمن الخطط منشآت لتوليد الطاقة بالفحم الحجري والبتروكيماويات ومواد البناء وتحلية المياه وتسييل الغاز الطبيعي وتصدير النفط، فضلاً عن قطار يربط المشروع ومنطقة دولية تضم فنادق ووحدات سكنية ومدارس ومساحات خضراء ومجمعاً للمكاتب.⁸³

وقد تمت الموافقة في أواخر العام 2019 على واحد من أهم المكونات في خطة داميرجوغ، ألا وهو خط أنابيب بقيمة 4 مليارات دولار سينقل الغاز الطبيعي من مخزن جديد تطوره الصين في إقليم أوجادين في أثيوبيا المجاورة. ومن المفترض البدء ببناء خط الأنابيب ومحطة الغاز الطبيعي المسال المرافقة له هذه السنة.⁸⁴ لكن يبدو أن الخطة الرئيسية الأكبر لداميرجوغ قيد التعليق شأنها شأن تجديد الميناء القديم. وعلى المدى القصير، تعني مخاطر تراكم المزيد من الديون أن الشروع بهذين المشروعين التحويلين غير مرجح. وعلى المدى الطويل، تثير قيود محلية أخرى الشكوك حول تحقيق مشاريع ضخمة كهذه، ومنها "تكاليف مرفقية باهظة جداً ومناخ جاف ودرجات حرارة مرتفعة وغياب اليد العاملة المحلية".⁸⁵

المشككون الأجانب والمحليون

على الرغم من طفرة الاستثمارات الصينية ومعدلات النمو المرتفعة، لم تطل هذه التغييرات الجميع بعد، فمعظم الجيبوتيين العاديين لا يشعرون

فقد ارتفعت نسبة الدين إلى الناتج المحلي الإجمالي من 34 في المئة في العام 2013 إلى نسبة متوقعة قدرها 104 في المئة في مرحلة من المراحل في العام 2018، مما حدا بصندوق النقد الدولي إلى تصنيف جيوتي "في خطر كبير من الوقوع في مديونية حرجية".⁹⁷ وأعيد احتساب هذا الرقم لاحقاً وتم تخفيضه إلى 71 في المئة، مع أن مدى تعرض البلاد للمخاطر يبقى موضوع خلاف، إذ يقول بعض المراقبين أن الحفرة أعمق بكثير مما تشير إليه التقديرات المنقحة، بسبب قيود الموازنة والإنتاجية المنخفضة والمتأخرات المتراكمة والمزيد من الديون الخارجية.⁹⁸

يبدو أن السلطات الجيوتية تصرّ على أنها ستتمكن من تسديد ديونها، بحجة نمو الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 8 في المئة تقريباً وحجم التبادل التجاري الصيني المتنامي واقتصاد أثيوبيا المتحرر. لكنّ انكسار البلاد الشديد على صناعة واحدة يجعلها ضعيفة إزاء الصدمات الخارجية، مثل وقوع أزمة في أثيوبيا أو انكماش اقتصادي في الصين. (ابتداءً من مارس 2020، تسببت جائحة فيروس كورونا المستجد بإغلاق الشركات وانخفاض حركة الموانئ، مما طرح أسئلة حول الاستثمارات الصينية الطويلة الأمد في المنطقة. راجع "أثر جائحة فيروس كورونا المستجد أدناه".⁹⁹)

وفيما تجري خدمة بعض من قروضها من مصرف الصين للاستيراد والتصدير بشكل ملائم، لم تحقق كل مشاريع البنى التحتية أرباحاً بعد. فعلاوة على سلسلة من المتاعب حول تمويل سكّة الحديد بين جيوتي وأثيوبيا ومدها بالكهرباء، دفعت التأخيرات في تشغيل السكّة وزير المالية الجيوتي إلى السفر إلى بكين في أبريل 2019 على أمل إعادة التمويل.¹⁰⁰ وبعد عدة جولات من المفاوضات، اتفق الطرفان على تخفيض طفيف في معدل الفائدة وإطالة مدة الاستحقاق وتأجيل المتأخرات المتراكمة.¹⁰¹

وبهدف التخفيف من أهميّة المخاوف، قال الوزير إن توقعات الدين الأكثر تشاؤماً تصف الوضع بشكل غير صحيح وتقلل من إمكانيات الموائن التي "تقدّم أداء يفوق المعتاد أو له القدرة على ذلك".¹⁰² وبالفعل، ينبغي على المخاوف بشأن نسب الدين إلى الناتج المحلي الإجمالي الحالية أن تأخذ بعين الاعتبار عدداً من العوامل، بما في ذلك حاجة جيوتي إلى هذه الأصول الجديدة وحجمها وتوليدها القيمة على المدى الطويل. مع ذلك، لا يتشاطر الجميع تفاؤله. فيقول سفير غربي: "الحكومة تكذب، فلا يمكنهم تسديد القروض الصينية"، معتبراً أن زيارة الوزير المرتجلة إلى بكين دليل على ارتباك جيوتي وعلى توقعاتٍ بعائدات غير واقعية".

من المرجح أن يستمرّ الجدل، مع أنّ العنصر المحدّد الأكبر لقدرة جيوتي على تسديد ديونها هو في الغرب، في أثيوبيا، إذ تخدم 90 في المئة من الأعمال في موانئ جيوتي التجارة الأثيوبية، وحتى الآن تبقى جيوتي المنفذ الوحيد إلى البحر لتلك الدولة العملاقة غير الساحلية.¹⁰³ وفي العام 2018، استلم رئيس الوزراء أبي زمام الحكم في أثيوبيا من تحالف نخوي سيطر لثلاثة عقود على سياسة البلاد وبرنامج تنميتها الخاضع لإشراف الدولة.¹⁰⁴ وسرعان ما بدأ أبي البالغ

ويقلق المسؤولين الأمريكيين والأوروبيين من أن الصين وجدت في جيله شريكاً يتشاطر نزوات بكن السلطوية وسيسمح، كما في الدول الضعيفة الأخرى، للشركات الصينية بالعمل على تحقيق الأرباح عبر استغلال الحكومة الرديئة وانتهاك الأنظمة. ويفيدون عن أدلة على أن عدداً من الضباط العسكريين الجيوتيين الرفيعي المستوى ومن المدراء شبه الحكوميين "مرتبهّن للصينيين".

في المقابل، يشكي المسؤولون الجيوتيون من رياء حلفائهم الغربيين. فيفسّر دبلوماسي رفيع المستوى: "الفرنسيون حاضرون هنا منذ العام 1977، والأمريكيون منذ العام 2011. وقد طلبنا منهم هذه الأمور"، قاصداً بذلك أجندة البنية التحتية في بلاده. ويضيف: "لكن ماذا فعلت فرنسا لنا؟ ماذا فعلت الولايات المتحدة لنا؟ لقد حقّق الصينيون مطالبهم التنموية، والرسالة التي غالباً ما يتمّ ذكرها هي: "لا تنتقدونا الآن وقد اخترنا غيركم".⁹⁴

**وقد طلبنا منهم هذه الأمور"، قاصداً
بذلك أجندة البنية التحتية في بلاده.
ويضيف: "لكن ماذا فعلت فرنسا لنا؟
ماذا فعلت الولايات المتحدة لنا؟"
لقد حقّق الصينيون مطالبهم التنموية،
والرسالة التي غالباً ما يتمّ ذكرها هي:
"لا تنتقدونا الآن وقد اخترنا غيركم".**

ويفيد الممثلون الجيوتيون عن تعبهم من اضطراهم إلى طمأنة الكثير من الموفدين الأجانب أنهم لم يغدروا بهم لصالح بكن. فهم عالمون بالانتقادات الموجهة لحركة الصين الاقتصادية، لكنهم يعتقدون أن بكن تغيّرت. فيقول الدبلوماسي: "أدرك الصينيون أنهم لا يريدون أن تقول لهم جيوتي أو أثيوبيا أو غيرها بعد عشرة أعوام: أنتم من دمر اقتصادنا وخرّب بلادنا". ويقول إنهم يتكيفون نتيجة "الكلام على دبلوماسية فخ الدين" الذي يحيكه الغرب.⁹⁵

التعرّض لمخاطر الدين

لا تأتي المخاوف حيال صعوبات الدين في جيوتي من عدم، بما في ذلك عند مقارنتها بالدول المجاورة في منطقة البحر الأحمر.⁹⁶ فبكن تملك القسم الأكبر من دين البلاد العام، وسبق أن أعيدت هيكلة أكبر قروضها المستحقة، التي يفترض أن يبدأ استهلاكها في العام 2020، بسبب تقصيرات وشيكة.

أن جيبوتي سلّمت الإدارة التشغيلية في المحطة لتشايينا مرتشانتس. ونكرت السلطات الجيبوتية التقارير بشدّة، قائلة إنّ الفراغ ملأه مشغّلون جيبوتيون حصراً.

ورفعت موانئ دبي العالمية دعوى قضائية على الطرفين، أي جيبوتي لإخلالها بالعقد وتشايينا مرتشانتس للتسبّب بالإخلال بشكل غير قانوني.¹¹⁰ في غضون ذلك، انطلقت إشاعات عن سيطرة الصينيين على محطة دوراليه للحاويات ووصلت في النهاية إلى الكونغرس. فتساءل أعضاؤه ما إذا كانت بكين قد تُحكم سيطرتها على الأصل الأعلى قيمة لدى جيبوتي كضمانة للدين غير المُسدّد، مثلما بدا أنّها فعلت بعد سنة في ميناء هامبانتوتا في سريلانكا. (حادثة هامبانتوتا، التي هي معقّدة بحدّ ذاتها أكثر مما توحى الأخبار الشائعة عنها، هي ما أدّى إلى ظهور الكلام على "دبلوماسية فخّ الدين" الصينية).¹¹¹

فكتب عضو قلق من أعضاء لجنة القوّات المسلّحة في مجلس الشيوخ قائلاً: "باتت مقدّراتنا العسكرية والاستخبارية وقدرتنا على العمل في هذا المعبر الاستراتيجي مهدّدة أكثر فأكثر بسبب نفوذ الصين المتعاظم لدى حكومة الرئيس جيله".¹¹² وفي اليوم التالي، أدلى الجنرال والدهاوزر في القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا بشهادة مفادها أنّه، على الرغم من التطمينات الجيبوتية، ساورته بدوره المخاوف حيال المصالح الاستراتيجية الأمريكية في حال سيطرت الصين على الميناء.¹¹³

**وبعد سنوات من المحاولات العبثية
لإعادة التفاوض بشأن الامتياز، أنهت
الحكومة الجيبوتية في نهاية المطاف عقد
موانئ دبي العالمية في فبراير 2018
واستلمت إدارة الميناء. وقد استندت
السلطات في إعلانها القرار بتأميم محطة
دوراليه للحاويات على حجة أنّ أحكام العقد
تشكّل "انتهاكاً فاضحاً لسيادة الدولة".**

وقد أصرت السلطات الجيبوتية مراراً وتكراراً أنّ لا مصلحة لها في تسليم محطة دوراليه للحاويات للصين، لكنّها عجزت عن إيقاف الكلام على هذا الموضوع. فقد بعثوا مجلس الشيوخ ماركو روبيو وكريس كونز لاحقاً برسالة مشابهة إلى كبار المسؤولين في إدارة ترامب مُعربين عن قلقهما من أنّ "سيطرة الصين على دوراليه يمكن أن تخوّلها عرقلة

من العمر 43 عاماً بفتح البلاد، متعهّداً بإحداث تغييرات ديمقراطية وإصلاحات في السوق وتحرير القطاعات الأساسية وبحقيق مكاسب في الإنتاجية. وتعوّل خطط آبي الجريئة للتوسّع الاقتصادي على تعامله بنجاح مع عملية انتقالية سياسية دقيقة وسط تصدّعات إثنية إقليمية، والأنظار كلّها موجّهة إلى الانتخابات (التي تأجّلت الآن إلى العام 2021 بسبب فيروس كورونا المستجد).¹⁰⁵ ويمكن أن يبرهن النجاح على أنّ السلطات الجيبوتية المتفائلة محقّة، بيد أنّ الفشل، بما في ذلك العنف أو الجمود السياسي المرتبط بالانتخابات، قد يترك جيبوتي في وضع أسوأ. ويقول أحد الدبلوماسيين الغربيين: "مصر جيبوتي مرتبط بمصر أثيوبيا".

أهو فخ؟

بدأ نقاش "فخّ الدين" الذي كان العنوان العريض للكلام على جيبوتي في السنوات الأخيرة، والذي وصل في نهاية الأمر إلى الكونغرس في العام 2018، بجدال حول السيطرة على الأصل الأكثر إنتاجاً في البلاد، أي محطة دوراليه للحاويات. ولأنّ وقائع تلك المرحلة وُصفت أحياناً بشكل غير صحيح وتأجّجت المخاوف الناتجة عن ذلك، استمرّ الكلام على أفخاخ الديون. وفيما يشكّل تعرّض جيبوتي لمخاطر الدين مدعاة كبيرة للقلق، يبدو أنّ الادّعاءات بأنّ الصين تقدّم القروض عمداً بنية التسبّب بتخلّف عن السداد مُضخّمة. في جميع الأحوال، ينبغي أن تبدأ التوقعات حول عملية صينية لمبادلة الدين بأسهام مُلكية بتقييم واضح للوقائع.

افتُتحت محطة دوراليه للحاويات في العام 2009، وقد صمّمتها شركة الموانئ الإماراتية موانئ دبي العالمية وبنّتها وشغّلتها كجزء من اتفاقية امتياز لمُدّة 30 سنة. وعملت المنشأة بدون أيّ إشكالات حتّى العام 2012، حين بدأ المسؤولون الجيبوتيون يشكون من أنّ موانئ دبي العالمية تقصّر عمداً في تطوير المحطة لتمنع جيبوتي من أن تصبح مساوية لميناء جبل علي، الميناء الأهمّ في دبي لدى الشركة المشغّلة، أو من أن تتفوّق عليه.¹⁰⁶ ومنح العقد الأوّل، الذي رُغم أنّه تمّ بفضل الرشاوى، موانئ دبي العالمية سلطة استثنائية على عملية تطوير البنى التحتية في جيبوتي، وأفيد أنّه يضمّ بنداً يشترط نيل موافقة دبي على أيّ تطوير إضافي لموانئ جيبوتي.¹⁰⁷ وبعد سنوات من المحاولات العبثية لإعادة التفاوض بشأن الامتياز، أنهت الحكومة الجيبوتية في نهاية المطاف عقد موانئ دبي العالمية في فبراير 2018 واستلمت إدارة الميناء. وقد استندت السلطات في إعلانها القرار بتأميم محطة دوراليه للحاويات على حجة أنّ أحكام العقد تشكّل "انتهاكاً فاضحاً لسيادة الدولة".¹⁰⁸

وقبل بضع سنوات من عملية التأميم، باعت جيبوتي حصة أقلية من هيئة الموانئ الوطنية لديها إلى مجموعة تشايينا مرتشانتس، وهذا يعني أنّ الشركة الصينية حصلت على حصة أقلية في محطة الحاويات.¹⁰⁹ ومع تبلور الأحداث القاسية، برزت تقارير مفادها

وبعد سنة من إفادة والدهاوزر الأولية أمام الكونغرس، أدلى الجنرال بشهادة مفادها أن حركة المرور للمواد واللوجستيات الأمريكية في محطة دوراليه للحاويات لم تتأثر، بل في الواقع، أفاد أن الفعالية في المحطة قد تحسنت. وأضاف والدهاوزر أن إصرار الرئيس جيله بأن "لا نية له للغدر بهم لصالح الصين" مثبت بالأفعال.¹¹⁹

وعلاوة على الضمانات بالملاءة والسيادة على العمليات في جيوتي، يلفت الدبلوماسيون ومشغلو الموانئ الجيوتيون الانتباه إلى ازدواجية واضحة في المعايير، قائلين إن الشركات الصينية استحوذت على حصص، لا بل على حصص أكثرية أحياناً، في أكثر من اثني عشر ميناء أوروبياً، بما في ذلك في فرنسا وإيطاليا وبلجيكا واليونان.¹²⁰ ومع ذلك، سواء أكان تعبيراً صريحاً عن المشاعر أم تسييساً حذقاً، يُخبر أعضاء النخبة الجيوتيون نظراءهم الغربيين أنهم مدركون أنهم غارقون أكثر من اللازم مع الصين وأنهم حريصون على تنويع قاعدة مستثمريهم في المستقبل.

بغض النظر عن النوايا الجيوتية، ينبغي على المرء أيضاً تقدير ما إذا كان لبكين أي مصلحة في هندسة مبادلة الدين بأسهم ملكية، وتشير عدة تيارات بأن لا مصلحة في ذلك ربما. أولاً، استقطبت حادثة هامبانتوتا في سريلانكا سبباً من التدقيق الدولي وساعدت على نشر الفكرة في أن الصين قد تبدأ بالاستيلاء على الأصول الاستراتيجية في العالم بأسره. وسرعان ما استرعت الفكرة الانتباه في الغرب ثم دحضها المحللون والباحثون، وتبقى اليوم موضع جدل كبيراً.¹²¹ بناء على ذلك، التكاليف المحتملة التي تكبدها مبادلة الدين بأسهم ملكية على السمعة تفوق على الأرجح المكاسب التي يعطيها استلام زمام السيطرة، أقله في الظروف الراهنة.

ثانياً، يمكن أن يفضي التخلّف عن السداد في جيوتي إلى شكوك وعدم استقرار تفضّل بكين تفاديها. وقد يعقد العلاقات أيضاً مع أثيوبيا، التي، بصفتها قائدة إقليمية وقارية، سيصعب عليها جداً القبول بخطوة كهذه في بلد مجاور. في هذا الإطار، ما يفيد جيوتي يفيد الصين أيضاً، ألا وهو عملية انتقالية ناجحة في أثيوبيا تؤدي إلى استمرار النمو الاقتصادي. ويعطي استعداد بكين للتغاضي عن قروض ضخمة أو إعادة التفاوض بشأنها مع هذين البلدين كليهما في السنوات الماضية بعض الصدية لهذه الحجة.¹²²

أخيراً، المحللون الدفاعيون محقّون في تشكيكهم في قدرة أي دولة على تحويل ترتيبات القدرة الوصول استحسنت عليها قسراً إلى أفضلية عسكرية مُجدية،¹²³ ممّا يقلل أيضاً من جاذبية مبادلة الدين هذه بأسهم ملكية. ففيما لا يرجح الاستيلاء على أصول ممولة بالديون في زمن السلم، يمكن استغلال الدين لا لنيل سيطرة تامة بل لقدرة وصول تفضيلية أو أفضليات مرغوبة في قطاعات حساسة أخرى. علاوة على ذلك، يمكن أن تتغير حسابات بكين بشأن مبادلة الدين بأسهم ملكية في سيناريو الصراع.¹²⁴

العمليات العسكرية الأمريكية في القرن الأفريقي و"أن توسّع نطاق نفوذها في جيوتي وأثيوبيا ودول أخرى ضعيفة في المنطقة".¹¹⁴ وكرّر جون بولتون هذا الكلام بعد أسبوع، محذراً أن جيوتي قد "تسلّم قريباً الشركات الصينية المملوكة من الدولة زمام السيطرة على محطة دوراليه للحاويات، وهي ميناء شحن ذو موقع استراتيجي على البحر الأحمر".¹¹⁵

فما هي طبيعة هذا التهديد؟ يقلق الاستراتيجيون الأمريكيون من التوقف المُمكن لسلاسل توريد الأعنة والوقود ومن قدرة الوصول المخفّضة للسفن الحربية، وفي المقابل، من ترتيبات تمنح جيش التحرير الشعبي قدرة وصول أكبر، فتعطيه بالتالي أفضلية عسكرية محتملة. وكما هو الحال مع المخاوف من استغلال شبكات الاتصالات اللاسلكية من الجيل الخامس والبنية التحتية التجارية، يلفت المراقبون الانتباه إلى أن السيطرة الصينية على الموانئ المهمة يمكنها أن تمنح بكين فرصاً فريدة لجمع المعلومات الحساسة أو تعريض السفن وأجهزة الاتصالات الأمريكية للتشويش.¹¹⁶ ويمكن أن تطل تداعيات هذا الموضوع السيناريوهات التي تفترض صراعاً مباشراً مع الصين، مع أن الخبراء يحذرون من التضخيم من القدرات الحالية لجيش التحرير الشعبي. ويقترح بعضهم حتى أن الحضور الصيني في المحيط الهندي يمكن أن يؤدي إلى "نقاط ضعف أكثر منه إلى فرص" في حال نشوب صراع مع الولايات المتحدة أو حلفائها.¹¹⁷

ويمكن أن تطل تداعيات هذا الموضوع السيناريوهات التي تفترض صراعاً مباشراً مع الصين، مع أن الخبراء يحذرون من التضخيم من القدرات الحالية لجيش التحرير الشعبي. ويقترح بعضهم حتى أن الحضور الصيني في المحيط الهندي يمكن أن يؤدي إلى "نقاط ضعف أكثر منه إلى فرص" في حال نشوب صراع مع الولايات المتحدة أو حلفائها.

وعلى الرغم من استمرار الإشاعات بسيطرة الصينيين على محطة دوراليه للحاويات، أكدت الزيارات إلى المحطة الادعاءات الجيوتية بأن الإدارة محلية وأن التكنولوجيا المستخدمة في الموضوع هي بالإجمال أوروبية أو أمريكية الصنع وأن عدداً قليلاً من موظفي المحطة الذين يناهز عددهم 700 شخص يحمل الجنسية الصينية، ولا أحد منهم يتبوأ منصباً قيادياً.¹¹⁸

أثر جائحة فيروس كورونا المستجد

على الرغم من الآثار الصحية والاقتصادية الفورية لجائحة فيروس كورونا المستجد في جيوتي ومنطقة البحر الأحمر، من المبكر جداً معرفة التداعيات الطويلة الأمد على مسار جيوتي الاقتصادي أو على وضع الصين في المنطقة. ففي ظل الجائحة والإغلاق المحلي في الصين، أفادت بكين عن انكماش اقتصادي نسبته 6,8 في المئة في الربع الأول من السنة، أول خسارة لها من هذا النوع منذ عقود، أي ما يوازي مئة مليار دولار من الإنتاج الضائع. وقد قلصت هذه الخسائر، مترافقة بالحظر على السفر وتوقف سلاسل التوريد وإجراءات احتواء أخرى، حجم التبادل التجاري وطرحت أسئلة حول استثمارات الصين الطويلة الأمد في الخارج، ولا سيما في أفريقيا. وفيما كانت الآثار الصحية متواضعة بالمقارنة في أفريقيا في الربع الأول، تبين أن التداعيات الاقتصادية للركود العالمي حادة، إذ تسبب تدهور أسعار النفط والسلع بوقوع الكثير من شركاء الصين الأفريقيين في عجز. علاوة على ذلك، تبقى سرعة استجابة الأنظمة الصحية الإقليمية مصدر قلق كبير، لأن أي تفاقم للجائحة يمكن أن يشكل كارثة لمنطقة هشة أصلاً.

ولجيوتي، تشكل الجائحة ذاك النوع بالضبط من الصدمات الخارجية الذي يُعتبر اقتصادها الضيق أكثر عرضة لمخاطره، لأن اقتصادها حساس للغاية إزاء تعرق سلاسل التوريد الإقليمية والدولية. وقد علقت السلطات الجيوتية السفر في أواسط مارس عقب أول فحص إيجابي للفيروس، وما لبث أن أتبع ذلك بإغلاق شامل للبلاد. فستراجع كمية المنتجات التي ستعبر موانئ جيوتي بشكل لافت، لأن التبادل التجاري والشحن والنشاط اللوجستي سيتراجع وسينكمش الاقتصادي الأثيوبي. بناء على ذلك، يتوقع البنك الدولي أن يتراجع الناتج المحلي الإجمالي من 7,5 في المئة في العام 2019 إلى 1,3 في المئة في العام 2020. وسوف تسود الشكوك، لأن شبكة الأمان الاجتماعي الضعيفة أصلاً تعني أن وجع الأزمة المستدامة يمكن أن يكون حاداً للكثير من سكان جيوتي الذين يبلغ عددهم مليون نسمة. وعلى المدى القصير، ستحتاج جيوتي، وجيرانها، على الأرجح إلى دعم طارئ وتأجيل للقروض لكي تتصدى للوضع. لكن إن تم احتواء الجائحة بشكل معقول في الأشهر المقبلة، من المتوقع أن يستعيد الاقتصاد عافيته ويسجل نمواً مرتفعاً من جديد في العام 2021.

وفيما بادر بعضهم إلى الإعلان عن تغيير جوهري في النموذج الاقتصادي للصين في المنطقة، هذه التوقعات سابقة لأوانها، لأن أي تداعيات دائمة ستعتمد على شكل تعافي الصين وسرعته ضمن أراضيها. مع ذلك، أدت هذه الأزمة الصحية العالمية إلى بروز بعض التحديات الجديدة لعلاقات بكين بالمنطقة يمكنها أن تغير طبيعة هذه الشراكات في المستقبل.

التحدي الأول هو تخفيف أعباء الديون. ففي أعقاب أزمة فيروس كورونا المستجد مباشرة، طالبت الدول الأفريقية، بقيادة رئيس الوزراء الأثيوبي آبي أحمد، الدائنين الدوليين لتخفيف أعباء الديون المترتبة على البلدان الأفقر في أفريقيا أو إعادة هيكلتها. وتهدف هذه المناشدة الرفيعة المستوى، التي دعمها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، إلى تمكين الحكومات المتعثرة أصلاً من توجيه مواردها المحدودة إلى الوقاية من فيروس كورونا المستجد. ونظراً إلى حصة الصين الكبيرة من ديون أفريقيا، سرعان ما أصبحت الصين مركز الاهتمام. لكن بكين استجابت بحذر. فلا الخطوات الأحادية الجانب مبررة ولا الإلغاء الشامل، لأن المسؤولين الصينيين يفضلون اعتماد مقاربة تختلف بحسب كل بلد ولن يرغبوا أبداً في تكبد خسائر كبيرة فيما تواجه الصين انكماشاً داخلياً. ومع أن البعض يشير إلى أن تغاضي الصين عن الديون يمكن أن يتوافق مع المزيد من الشروط، بما في ذلك مبادلات الديون بأسهم ملكية، يوحى تاريخ بكين بأن إعادة التفاوض مرجحة أكثر. والعمل المشترك عنصر حاسم، إذ يخطو المدينون الصينيون والغربيون بحذر لتفادي وضع سوابق إشكالية مع الدول المديونة أو الدائنين الآخرين.

وتأتي الطبيعة الجماعية لمشكلة الدين في سياق معركة قوة ناعمة متسارعة بين بكين وواشنطن. فما إن تم احتواء الجائحة في الصين، أطلق الأفراد والمؤسسات الصينيون حملات بارزة للغاية لتقديم إمدادات الرعاية الصحية والدعم الطبي للدول الأفريقية، وخصوصاً في القرن الأفريقي. لكن هذه الجهود تضععت بفعل قصة ثانية عن فيروس كورونا المستجد حينما أججت صور طرد مهاجرين أفريقيين ومضايقتهم في غوانغزو في الصين، بسبب مخاوف من إصابات آتية من الخارج. أزمة علاقات عامة وعلاقات دبلوماسية لم تشهدها العلاقات الصينية الأفريقية قبلاً. ومع أنه سرعان ما خفتت أخبار هذه الحادثة المضرة، على الأرجح أن تبقى علاقات أفريقيا مع الصين، بما في ذلك الانكشاف المفرط أمام السوق الصينية، أن تبقى تحت المجهر فيما تحاول كل جهة التعامل مع تداعيات الجائحة الهائلة.¹²⁵

التوصيات والخاتمة

لقد ساعدت شركات الصين الاقتصادية المتوسعة في أرجاء منطقة البحر الأحمر، وشبكة مبادرة الحزام والطريق الأوسع، شي جين بينغ على التخفيف من الضغط الاقتصادي داخلياً وسطاً تباطؤ في نمو الناتج المحلي الإجمالي. لكنّها سمحت لبكين أيضاً ببناء نفوذ وإنشاء المساحة اللازمة لتأسيس حضور عسكري أمامي، وكلا هذين الأمرين يحميان مصالحها الجيوسياسية ويسيران بها قدماً. والقاعدة العسكرية الصينية عند مدخل البحر الأحمر هي الأولى لدى الصين غير البحار، لكن مع استمرار بكين بتوسيع نفوذها عبر المحيطات، سيظهر المزيد من هذه القواعد بلا شك.

وتسبب القاعدة البحرية الصينية في جيوتي تحديات عملياتية واستخبارية فورية للقوات الأمريكية، لكن ينبغي النظر إليها أيضاً كفرصة لمراقبة جيش التحرير الشعبي ولوضع سوابق للعلاقات الأمريكية الصينية عبر البحار في المستقبل على حدّ سواء. فالتقارب يمنح فرصة لمراقبة العلاقات بين التجارة المدفوعة من الدولة والجيش والدبلوماسية الصينية، ولمراقبة طريقة عمل جيش التحرير الشعبي وما المعرفة التي يكتسبها على حدّ سواء. وقد تقدّم كلّ واحدة من هذه الفرص معلومات عن خطوات بكين المقبلة في المنطقة وفي غربي المحيط الهندي وفي أرجاء المحيط الهندي-الهادئ. وعوضاً عن النكران بأنّ التوسّع الاستراتيجي الصيني حتمي أو اتّخاذ موقف متحفّظ أكثر من اللازم في جيوتي، ينبغي على الدبلوماسيين والعسكريين الأمريكيين تحديد الفرص لتعديل شروط الانخراط الأمريكي ولوضع سوابق تمنح الأفضلية.

عندما وصل جيش التحرير الشعبي إلى جيوتي، سأل البعض ما إذا كان على الولايات المتحدة نقل قاعدتها إلى مكان آخر في المنطقة. ولو حصل ذلك لكان غلطة لأسباب مختلفة، من أهمها الرسالة التي تتلقاها بكين. بيد أنّه ينبغي على وزارة الدفاع الأمريكية التفكير في خيارات التنويع عندما يتعلّق الأمر بوظائف حسّاسة للغاية، مثل إعادة التزوّد بالوقود، التي تعتمد حصراً حالياً على محطة هورايرون. وقد تأخذ الوزارة أيضاً في عين الاعتبار توسيع اتّفاقات التعاون مع الدول المجاورة لتأمين اللازم للمواقع الاحتياطية على ساحل البحر الأحمر. فلا تقدّم هذه الاستثمارات مرونة تشغيلية فحسب، بل يمكنها أن تشكّل وسيلة مهمّة لبعث الرسائل وتحسين قدرة التفاوض في جيوتي لدى واشنطن.¹²⁶

بيد أنّ مواجهة الحضور الصيني المتوسّع والسير قدماً بالمصالح الأمريكية يتطلب تخطّي وجهة النظر الأمنية واعتماد مقاربة متعدّدة الأوجه تحدّد الأولويات المقارنة، من ضمنها: تعزيز الشراكات القائمة في المنطقة والعمل مع أطراف متعدّدة والمحافظة على صدارة الولايات المتحدة كشريك أمني ومزوّد للمساعدة الأمنية،¹²⁷ عبر تقديم الخبرة التقنية والتنمية، والتركيز على القطاعات التي تستطيع الشركات الأمريكية فيها تقديم ما تعجز

عنه الشركات الأخرى. ويعني هذا الأمر تصميم رزمة مساعدات تستجيب للأولويات الجيوتية وتدمج المساعدة الاقتصادية والسياسية والأمنية من أجل تحقيق الأثر الأقصى.

من الناحية الاقتصادية، لا تستطيع الولايات المتحدة مقارعة القروض والتجارة والاستثمارات التجارية التي ستستمرّ بكين بضخّها في المنطقة، ولا ينبغي عليها الادّعاء بأنها قادرة على ذلك. لكنّها قادرة على طرح ما يعتبره البعض استراتيجية "غير متماثلة" تزيد من الأفضليات المقارنة إلى أقصى حدّ¹²⁸ وتشجّع المنافسة وترفع المعايير. ويعني هذا تحديد الاستثمارات الذكية في الشركات، في قطاعات التكنولوجيا والطاقة والخدمات، حيث بإمكان الشركات الأمريكية أن تضيف قيمة فريدة. ويعني أيضاً الرفع إلى أقصى حدّ من فرص نقل المهارات والتكنولوجيا، وهذا مجال قصّرت فيه الصين في جيوتي. ويعني أيضاً تشجيع الدول على تنويع استثماراتها، لا عبر الشركات الأمريكية فحسب بل أيضاً مع شركات أخرى يمكنها أن تحول دون استثمار الصين بحصة كبيرة من سوق البلاد. ولتحقيق ذلك قد تبحث الولايات المتحدة أيضاً عن فرص لإقامة استثمارات مشتركة مع حلفاء هم في وضع أفضل لاستعمال رأس مال تديره الدولة بسهولة أكبر.



وقد تقدّم كلّ واحدة من هذه الفرص معلومات عن خطوات بكين المقبلة في المنطقة وفي غربي المحيط الهندي وفي أرجاء المحيط الهندي-الهادئ. وعوضاً عن النكران بأنّ التوسّع الاستراتيجي الصيني حتمي أو اتّخاذ موقف متحفّظ أكثر من اللازم في جيوتي، ينبغي على الدبلوماسيين والعسكريين الأمريكيين تحديد الفرص لتعديل شروط الانخراط الأمريكي ولوضع سوابق تمنح الأفضلية.

أخيراً، بإمكان الولايات المتحدة أن تقدّم خبرتها التقنية في المجالات التي يمكنها أن تساعد الحكومات على اتّخاذ استثمارات سليمة. وبشكل العرض بمراجعة العقود المبرمة للقروض والضخمة والمشاريع التي تتطلب رأسمالاً كبيراً أحد هذه الأمثلة، سواء أقدم هذه الخدمة تكنوقراطيون أمريكيون أم خبراء من المؤسسات المالية الدولية.

والقيادات المحاربة لا تعكس العالم كما هو في الوقت الحاضر. وتشكل منطقة البحر الأحمر أحد هذه التحديات، إذ تؤثر الوقائع السياسية والاقتصادية والأمنية المتغيرة بأنماط التطور في أفريقيا والحيواقتصادات في البحر الأحمر وغرب المحيط الهادئ والحسابات الاستراتيجية في المحيط الهندي-الهادئ الأوسع. وإن كان صانعو السياسات الأمريكيون ينوون وضع استراتيجية تناسب سياقاً عبر إقليمي و"صيناً عالمية" بحق، ينبغي منح أولئك المسؤولين عن أفريقيا والشرق الأوسط والصين القدرة والحوافز للعمل بشكل إبداعي يتفادى العوائق المؤسسية.

لا شك في أن حضور الصين المتنامي في جيوتي ومنطقة البحر الأحمر يتطلب احتياطاً غربياً جديداً، لكنه لا يدعو للهلج. فلا يشكل التوسع الاقتصادي والاستراتيجي الذي يتكهن بها مخاطر تنبغي إدارتها فحسب بل فرصة ينبغي استغلالها أيضاً. فيمكن استخدام هذه المنصة ذات الموقع الاستراتيجي كحقل تجارب، وسرعة تعلمها بطيئة في بعض النواحي. بالتالي، عوضاً عن مقاومة حركة توسع متزايدة، ينبغي على الولايات المتحدة البحث عن الفرص لرسم معالم الفضاء الذي تتوسع فيه الصين، وبالتالي معالم العلاقات عبر البحار مع القوتين العظميين في المستقبل.

نبذة عن المؤلف

زاك فيرتين هو زميل زائر سابق في مركز بروكنجز الدوحة وزميل غير مقيم في برنامج السياسة الخارجية في معهد بروكنجز. وهو محاضر في الشؤون العامة والدولية في جامعة برينستون وخدم كدبلوماسي في خلال إدارة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما.

شكر وتقدير

يود المؤلف التعبير عن جزيل امتنانه لريبيكا ليم للمساعدة الدؤوبة في البحوث ولتعاونها في هذه المشروع. ويشكر أيضاً تارون شهابرا وراش دوشي ورايان هاس ونادر قباني وإيميلي كيمبال وتيد راينرت، بالإضافة إلى الزملاء والمحاورين الكثر الذين ساهمت ملاحظاتهم وأفكارهم ومراجعاتهم في تأليف هذا التقرير. أخيراً، يود المؤلف أن يشكر حكومة الزويج لدعمها مشروع البحر الأحمر لدى معهد بروكنجز، وهو مبادرة تبحث في الجيوسياسات المتغيرة في منطقة البحر الأحمر، بحسب ما ترسم معالم الجهات الفاعلة في شبه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي، فضلاً عن القوى الخارجية. وقد أنجز كريس كروينسكي تصميم التقرير.

يجدر الذكر أن البحوث حول هذا التقرير وكتابته الأولية أنجزت قبل ظهور جائحة فيروس كورونا المستجد، التي ولدت منذ تفشيها تحديات غير معهودة للصين والولايات المتحدة وجيوتي، وكذلك للدول المجاورة لها في أرجاء منطقة البحر الأحمر. وفيما لا يزال عمق الأزمة ومدتها غير معروفين، يرجح أن تستمر الديناميات التي يركز عليها انخراط الصين في المنطقة وأيضاً احتمال التنافس بين القوى العظمى.

ومن الناحية السياسية، ينبغي على واشنطن أن تحذر من الإفراط في التشديد على "منافسة القوى العظمى" في أمكنة مثل جيوتي. مع أن تحويل المزيد من الانتباه والموارد الأمريكية نحو الصين أمرٌ منطقي، ينبغي على الإدارة ضبط رسالتها بعناية. فعلى غرار الكثير من الدول الأخرى في المنطقة، بينت جيوتي أن لا مصلحة لها في أن تعلق في حرب باردة جديدة ولا مصلحة في اختيار جهة. وقد ذكرت صانعي السياسات الأمريكيين أيضاً من مغبة التغاضي عن التمثيل الجيوتي. وبالفعل، ترتكب واشنطن خطأ إذا خصصت تركيزها على التهديدات الصينية أو على إنشاء تصوّر بأنها لا تهتم بالبحر الأحمر والمحيط الهندي إلا لأجل التنافس مع الصينيين. في المقابل، ليس تعميق العلاقات الثنائية والتحلي بتجاوب أفضل إزاء أولويات الشركاء وإبراز قيمة الشراكة الأمريكية دبلوماسية سليمة بحد ذاتها فحسب، بل هو أيضاً من أفضل الطرق للحد من النفوذ الصيني.

وتعني الاستفادة من الأفضليات المقارنة أيضاً العمل مع الحلفاء ذوي التوجه ذاته لدعم المصالح المشتركة، من الحرص على معايير الأعمال العادلة إلى المحافظة على خطوط التواصل البحري مفتوحة. ولعل تعديدية الأطراف هي الأداة الأكثر فعالية، والأقل استعمالاً، لدى الولايات المتحدة. مثلاً، على الرغم من بعض النجاحات، لم يتم تأسيس هيئة دائمة لتنظيم التعاون العسكري وتخفيف حدة النزاعات في مطارات جيوتي وموانئها المكتظة. ولا ينبغي أن تضم هذه الهيئة الولايات المتحدة والصين فحسب، بل بإمكان فرنسا والشركاء الأوروبيين الآخرين تقاسم العبء، شأنها شأن الهند واليابان، اللتين تقلقان كلتها حيال الصين بقدر الولايات المتحدة على الأقل. والمهم في الموضوع أن اللجنة ينبغي أن تضم جيوتي كدولة مضيضة وتعظم من شأنها. وسبق أن أفضى تعاون متعدد الأطراف كهذا إلى نتائج ملموسة، لكن ما من التزام مستمر. بالتالي، لا ينبغي على القادة العسكريين الأمريكيين دعم آليات كهذه فحسب، بل عليهم أن يحثوا على إنشائها أيضاً.

وبشكل عمومي أكثر، تتطلب جائحة فيروس كورونا المستجد عملاً جماعياً لتفادي كارثة صحية واجتماعية في القرن الأفريقي ومنطقة البحر الأحمر. وفي وسع واشنطن، وينبغي عليها، تبوؤ دور ريادي في حشد الجهات الفاعلة والمؤسسات الدولية لزيادة قدرات القطاع الصحي وتسهيل مساعدات الطوارئ وأو التمويل و/أو التخفيف من أعباء الديون في الدول التي سبق أن تأثرت بشدة. ويصب جهد كهذا في مصلحة الولايات المتحدة وبإمكانه أن يساعد على مواجهة الكلام على الانسحاب الأمريكي، لكن ينبغي على المسؤولين الأمريكيين الانتباه من تحول الاستجابة المتعددة الأطراف للجائحة إلى موضوع خلافي في منافستها الجيوسياسية مع الصين.

في غضون ذلك، في الولايات المتحدة، تعاني وزارتا الخارجية والدفاع ضعفاً عند خطوط تماسها، لأن العوائق التقليدية بين الأجهزة

المراجع

1. كان ناتج الصين المحلي الإجمالي السنوي 13,6 تريليون دولار في العام 2018. "الصين"، بيانات، البنك الدولي، <https://data.albankaldawli.org/country/china>
2. لقد طالت المخاوف من دبلوماسية "فخ الدين" المحتملة الانخراط الصيني في سريلانكا وباكستان وأنغولا وفنزويلا والأكوادور وغيرها من الدول. مثلاً، راجع: Nicholas Casey and Clifford Krauss, "It Doesn't Matter if Ecuador Can Afford This Dam. China Still Gets Paid.," The New York Times, December 24, 2018, <https://www.nytimes.com/2018/12/24/world/americas/ecuador-china-dam.html> استدامة الدين تُناقش لاحقاً في قسم "التعرض لمخاطر الدين" في هذا التقرير.
3. الصين هي الشريك التجاري والمستثمر الأكبر في الشرق الأوسط وأفريقيا عموماً. راجع: Payce Madden, "Figure of the week: Foreign direct investment in Africa," The Brookings Institution, October 9, 2019, <https://www.brookings.edu/blog/africa-in-focus/2019/10/09/figure-of-the-week-foreign-direct-investment-in-africa/>; Camille Lons, Jonathan Fulton, Degang Sun, and Naser Al-Tamimi, "China's Great Game in the Middle East," European Council of Foreign Relations, October 2019, 12, https://www.ecfr.eu/publications/summary/china_great_game_middle_east; Elliot Smith, "The US-China trade rivalry is underway in Africa, and Washington is playing catch-up," CNBC, October 9, 2019, <https://www.cnbc.com/2019/10/09/the-us-china-trade-rivalry-is-underway-in-africa.html>
4. مثلاً راجع، "从吉布提开始 中国民企在非洲试水经济特区" [Starting from Djibouti, Chinese private companies in Africa test the waters on special economic zones], Forum on China-Africa Cooperation, December 19, 2017 <https://www.focac.org/chn/zfgx/jmhzt/t1520611.htm>
5. قدرة الإنتاج الفائضة أثر جانبي غير مرغوب فيه لمعدل النمو المرتفع باستمرار في الصين. للمزيد عن القدرة الفائضة ومبادرة الحزام والطريق كأحد الحلول لها، راجع: Peter Cai, "Understanding China's Belt and Road Initiative," (Sydney: Lowy Institute, March 22, 2017), <https://www.lowyinstitute.org/publications/understanding-belt-and-road-initiative> يسري الاعتقاد أيضاً أنَّ مبادرة الحزام والطريق تخدم أهداف شي جين بينغ المحلية، إلى جانب مصالح الصين الاقتصادية والجيوسياسية المتوسعة. للمزيد، راجع: Joel Wuthnow, "China's Belt and Road: One Initiative, Three Strategies," in Strategic Asia 2019: China's Expanding Strategic Ambitions, eds. Ashley J. Tellis, Alison Szalwinski, and Michael Wills (Seattle: National Bureau of Asian Research, January 29, 2019), <https://www.nbr.org/publication/chinas-belt-and-road-one-initiative-three-strategies/>
6. تشمل التجاوزات التكنولوجية إنشاء أنظمة نقل بيانات ومدّ كابلات ألياف بصرية تحت البحر تربط آسيا وأوروبا وأفريقيا. مثلاً، يربط الكابل الذي يربط باكستان وشرق أفريقيا بأوروبا (PEACE) والذي يبلغ طوله 7500 ميل باكستان ومصر وفرنسا وجيبوتي والصومال وكينيا وجنوب أفريقيا وسيشيل. "PEACE Cable Project Enters into Cable and Material Manufacturing Stage," Huawei Marine, October 22, 2018, <http://www.huaweimarine.com/en/News/2018/press-releases/pr20181022>

7. اعتقدت واشنطن وحلفائها الغربيون في السابق أنه يمكنهم تحرير الصين و"إيقاعها في الفخ" في النظام الراهن المبني على قواعد. وعندما لم يتحقق هذا الأمل، بدأت المواقف الأمريكية بالتغير. راجع مثلاً ما يعرف بـ"التوجه نحو آسيا" لدى إدارة أوباما: Barack Obama, "Remarks by President Obama to the Australian Parliament," (speech, Canberra, November 17, 2011), <https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2011/11/17/remarks-president-obama-australian-parliament>; Hillary Clinton, "America's Pacific Century," Foreign Policy, October 11, 2011, <https://foreignpolicy.com/2011/10/11/americas-pacific-century/>.
- "National Security Strategy of the United States of America," (Washington, DC: The White House, December 2017), <https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2017/12/NSS-Final-12-18-2017-0905-2.pdf>
8. "National Security Strategy of the United States of America," (Washington, DC: The White House, December 2017), <https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2017/12/NSS-Final-12-18-2017-0905-2.pdf>
9. توقف الحوار الاستراتيجي والاقتصادي، الذي طرحته إدارة أوباما والذي يبني على آلية مشابهة انطلقت في عهد الرئيس جورج دبليو بوش، بالكامل مع وصول إدارة ترامب. لمبادرات المسار الثاني غير الرسمية، راجع مثلاً:
10. "Africa-China-U.S. Trilateral Dialogue: Summary Report," (The Brenthurst Foundation, Chinese Academy of Social Sciences, Council on Foreign Relations, and Leon H. Sullivan Foundation, December 2007), <https://www.cfr.org/report/africa-china-us-trilateral-dialogue> راجع أيضاً:
- Yun Sun, "US-China cooperation on African security," The Brookings Institution, November 1, 2016, <https://www.brookings.edu/blog/africa-in-focus/2016/11/01/us-china-cooperation-on-african-security/>
- Thomas Waldhauser, "U.S.-African Partnerships: Advancing Common Interests," (speech, Washington, DC, September 19, 2017), <https://www.usip.org/publications/2017/09/us-signals-africa-policy-shifts>
- بالفعل، جرى بعض التعاون في السنوات التي سبقت، بما في ذلك مناورات مشتركة لمكافحة القرصنة في خليج عدن في العام 2014.
- Sam LaGrone, "U.S. and China Conduct Anti-Piracy Exercise," USNI News, December 12, 2014, <https://news.usni.org/2014/12/12/u-s-china-conduct-anti-piracy-exercise>
11. Thomas Waldhauser, "U.S.-African Partnerships: Advancing Common Interests"
12. ضمّ خطاب بولتون بخصوص السياسة الأمريكية في أفريقيا 14 إشارة إلى الصين.
- John R. Bolton, "Remarks by National Security Advisor Ambassador John R. Bolton on The Trump Administration's New Africa Strategy," (speech, Washington, DC, December 13, 2018), <https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-national-security-advisor-ambassador-john-r-bolton-trump-administrations-new-africa-strategy/>
- وكان وزير الخارجية الأمريكية السابق ريكس تيلرسون قد لمح أيضاً، لكن بكلام أقل تبجحاً، إلى المواضيع ذاتها في خلال خطاب له في مارس 2018 في جامعة جورج مايسن، وورد الأمر كذلك في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي للعام 2017. راجع:
- Rex W. Tillerson, "U.S.-Africa Relations: A New Framework," (speech, Fairfax, VA, March 6, 2018), <https://www.state.gov/u-s-africa-relations-a-new-framework/>; "National Security Strategy of the United States of America," (The White House, December 2017).
13. Stephen Townsend, "2020 Posture Statement to Congress," (Congressional testimony, January 30, 2020 and March 10, 2020), <https://www.africom.mil/about-the-command/2020-posture-statement-to-congress>

14. هدف قانون استعمال الاستثمارات بشكل أفضل للوصول إلى التنمية (BUILD Act) أيضاً إلى إعادة تنظيم جهود التمويل التنموي الأمريكي وزيادتها، رداً بشكل جزئي على الأدوات الاقتصادية الصينية في العالم النامي. للمزيد، راجع: “BUILD Act: Frequently Asked Questions About the New U.S. International Development Finance Corporation,” (Washington, DC: Congressional Research Service, January 15, 2019), <https://fas.org/sgp/crs/misc/R45461.pdf>
15. “Africa Attractiveness Report, 2019,” (London, EY, October 2019)
16. بلغت قيمة التبادل التجاري بين الصين ودول مجلس التعاون الخليجي 162,9 مليار دولار ودول القرن الأفريقي 8,3 مليار ومصر 13,9 مليار واليمن 2,6 مليار. بيانات حجم التبادل التجاري من: “China exports, imports and trade balance By Country 2018,” World Integrated Trade Solution (WITS), <https://wits.worldbank.org/CountryProfile/en/Country/CHN/Year/2018/TradeFlow/EXPIMP/Partner/by-country> مع أن حدود "منطقة البحر الأحمر" الناشئة ليست محددة رسمياً، تم تحديد المنطقة في هذا التقرير على أنها تضم البحرين وجيبوتي ومصر وأريتريا وأثيوبيا والكويت وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والصومال والسودان والإمارات العربية المتحدة واليمن. لا يشمل التبادل التجاري والمقاييس الأخرى المذكورة في هذا التقرير إيران.
17. للمزيد من التحاليل عن جيوسياسات البحر الأحمر، راجع المقالات الثلاثة التالية بقلم زاك فيرتن: Zach Vertin, “Red Sea Rivalries: The Gulf States Are Playing a Dangerous Game in the Horn of Africa,” Foreign Affairs, January 15, 2019, <https://www.foreignaffairs.com/articles/east-africa/2019-01-15/red-sea-rivalries>; زاك فيرتن، "نحو منتدى للبحر الأحمر: الخليج العربي والقرن الأفريقي وهيكل نظام إقليمي جديد"، (الدوحة، مركز بروكنجز الدوحة، نوفمبر 2019)، <https://www.brookings.edu/ar/research/%d9%86%d8%ad%d9%88-%d9%85%d9%86%d8%aa%d8%af%d9%89-%d9%84%d9%84%d8%a8%d8%ad%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%ad%d9%85%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%ae%d9%84%d9%8a%d8%ac-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a8%d9%8a-%d9%88> Zach Vertin, “Red Sea Competition: Six Plotlines to Watch,” Lawfare, December 15, 2019, <https://www.lawfareblog.com/red-sea-geopolitics-six-plotlines-watch>
18. تشمل المنافسات (1) الانقسام بين الدول الخليجية الذي بدأ بحصار قطر في العام 2017 ووضع المملكة العربية السعودية والإمارات العربية السعودية ومصر والبحرين في وجه قطر، وامتداداً، تركيا و(2) المعركة لكسب التفوق الإقليمي بين الدول العربية السنية وإيران. وتتأثر ديناميات البحر الأحمر أيضاً بشكل غير مباشر بتنافسات قديمة أخرى، مثل المنافسة بين مصر وأثيوبيا حول مياه النيل وسد النهضة الأثيوبي.
19. Zach Vertin, “Red Sea Rivalries”
20. “Somalia: Further consensus-building needed ahead of ‘historic’ election,” UN News, February 24, 2020, <https://news.un.org/en/story/2020/02/1058251>
21. في العام 2015، وافقت أريتريا على السماح للقوات الإماراتية والسعودية بمتابعة الحرب في اليمن انطلاقاً من قاعدة مجددة في عصب، أريتريا. وأجرت محادثات مع روسيا أيضاً بشأن مركز عسكري، إلا أن الخطة لم تتحقق. ووافق إقليم صوماليلاند شبه المستقل أيضاً على استضافة قوات إماراتية في العام 2016، مع أنه لم يتم تنفيذ الخطة. للمزيد من التفاصيل راجع الخريطة التفاعلية في: Zach Vertin, “Red Sea rivalries: The Gulf, the Horn of Africa & the new geopolitics of the Red Sea,” The Brookings Institution, January 2019, <https://www.brookings.edu/interactives/red-sea-rivalries/>

22. “Khamenei’s Special Military Advisor General Yahya Safavi: If we are attacked, we will respond from the Mediterranean Sea to the Indian Ocean,” MEMRI TV, September 21, 2019, <https://www.memri.org/tv/khamenei-military-advisory-irgc-commander-safavi-iran-attack-region-turmoil-power-rising>
23. في العام 2016، بعد أن حاولت القوات السعودية والإماراتية نشر جنود لها في أريتريا، بنت قاعدة عسكرية في أريتريا (وأبرمت صفقة لتأسيس قاعدة في صوماليلاند) لتطلق منها هجمات على اليمن. واستأجر التحالف أيضاً قوات أفريقية غير نظامية ونقلهم للقتال على الخطوط الأمامية في اليمن.
24. الرقم للوافدين إلى إثيوبيا حتى أواسط العام 2019؛ الوافدون إلى جيوتي والسودان والصومال حتى أكتوبر 2017. “Total Arrivals from Yemen in the Region,” United Nations High Commissioner for Refugees (UNHCR), June 30, 2019, <https://data2.unhcr.org/en/situations/yemen>
- الرقم أعلى بكثير على الأرجح، لكن مسؤولي الأمم المتحدة يشيرون إلى أن الوصول إلى إحصاءات أحدث صعب لذا لم يتم الإعلان عنها رسمياً. مراسلة أخرى بالبريد الإلكتروني مع مسؤول في مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، فبراير 2020. وللمفارقة، أعداد كبيرة من المهاجرين الاقتصاديين من القرن الأفريقي تستمر بالسفر إلى اليمن، وينتقل عبره الكثيرون بحثاً عن فرص في أماكن أخرى في الخليج. فقد عبر قرابة 127 ألفاً البحر الأحمر في العام 2019 وحده. (الأرقام حتى نوفمبر 2019).
- (Figures through November 2019). “IOM Yemen: Monthly Migration Overview,” International Organization for Migration, November 2019, https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/iom-yemen_monthly_migration_overview_november2019.pdf
25. في إشارة إلى التزام الجيش الأمريكي بالدفاع عن “النظام الدولي المبني على قواعد” في أرجاء المحيط الهندي-الهادئ، تبدأ استراتيجيته المعروفة بالاستراتيجية “الحرّة والمفتوحة” بلفت الانتباه إلى رغبة الصين في “إعادة ترتيب المنطقة بما يناسب مصلحتها عبر الاستفادة من التحديث العسكري وعمليات النفوذ والاقتصادات الجائرة”.
- “Indo-Pacific Strategy Report: Preparedness, Partnerships, and Promoting a Networked Region,” (Arlington, VA: U.S. Department of Defense, June 2019), <https://media.defense.gov/2019/Jul/01/2002152311/-1/-1/1/DEPARTMENT-OF-DEFENSE-INDO-PACIFIC-STRATEGY-REPORT-2019.PDF>
26. “Indo-Pacific Strategy Report,” U.S. Department of Defense
27. أطلق “الممر الاقتصادي الصيني الباكستاني” (CPEC) في خلال زيارة الرئيس شي إلى باكستان في العام 2015، وهو يضم سلسلة من مشاريع البنى التحتية والإجراءات التجارية التي أفيد أن مجموعها يتخطى 60 مليار دولار والتي تهدف إلى إنشاء “إطار للترباط الإقليمي” لا يعود بالنفع “على الصين وباكستان فحسب بل أيضاً... إيران وأفغانستان والهند وجمهورية وسط آسيا والمنطقة”. ويربط المسار البر الرئيسي الصيني بموانئ المياه العميقة في كاراتشي وكوادر. للمزيد، راجع: “China Pakistan Economic Corridor (CPEC),” <http://cpec.gov.pk>
- أطلق “الممر الاقتصادي الصيني الميانماري” في العام 2018، بعد أن بات مترسلاً بفضل أنابيب النفط والغاز المبنية بين العامين 2013 و2017. ومع أنه ممر أصغر وتطلب وقتاً أطول للتبلور، يضم بدوره خطاً لطرق وسكك حديد ومناطق تجارة حرة وتوسيع ميناء مياه عميقة في كايوكيفيو. للمزيد، راجع: Yun Sun, “Slower, smaller, cheaper: the reality of the China-Myanmar Economic Corridor,” Frontier Myanmar, September 26, 2019, <https://www.frontiermyanmar.net/en/slower-smaller-cheaper-the-reality-of-the-china-myanmar-economic-corridor>
28. على الرغم من المبالغ الباهظة، لم يقتنع الخبراء بعد بالجدوى الاقتصادية للممر الاقتصادي الصيني الباكستاني. مراسلة بالبريد الإلكتروني بين المؤلف وخبير دفاع أمريكي، أبريل 2020. راجع أيضاً: Nowmay Opalinski, “Phase-II of the China-Pakistan Economic Corridor: Dim Prospects,” Eurasia Review, April 16, 2020, <https://www.eurasiareview.com/16042020-phase-ii-of-the-china-pakistan-economic-corridor-dim-prospects-analysis/>

29. تختلف التقديرات كثيراً بشأن الدول الشريكة في مبادرة الحزام والطريق. فابتداءً من أبريل 2019، أشارت المصادر الصينية إلى اتفاقيات تعاون مع 125 دولة.

“China releases report on BRI progress,” People’s Daily, April 26, 2019, <http://en.people.cn/n3/2019/0426/c90000-9572480.html>

30. “Indo-Pacific Strategy Report,” U.S. Department of Defense, 1.

31. Indrani Bagchi, “Raisina Dialogue: Indo-Pacific a global common, says foreign secretary Vijay Gokhale,” The Times of India, January 17, 2020, <https://timesofindia.indiatimes.com/india/raisina-dialogue-indo-pacific-a-global-common-says-foreign-secy-vijay-gokhale/articleshow/73337528.cms>

حثت بعض الأصوات داخل مؤسسة الأمن القومي الأمريكي سابقاً، بلا طائل، على ضم الساحل الأفريقي المطل على المحيط الهندي إلى استراتيجية المحيط الهندي-الهادئ للعام 2019. مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولين في وزارتي الدفاع والخارجية الأمريكيين، في واشنطن العاصمة، في يناير ومارس 2020.

32. Helene Cooper, Thomas Gibbons-Neff, Charlie Savage, and Eric Schmitt, “Pentagon Eyes Africa Drawdown as First Step in Global Troop Shift,” The New York Times, December 24, 2019, <https://www.nytimes.com/2019/12/24/world/africa/esper-troops-africa-china.html>

33. مع أن لومونيه تعتبر القاعدة الأمريكية الدائمة الوحيدة في أفريقيا، تبقى القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا على أحد عشر موقعاً أمنياً تعاونياً و16 موقع طوارئ، مع أن تفاصيل هذه المواقع سرية في أغلب الأحيان. راجع التقرير غير السري لنائب قائد العمليات العسكرية في القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا:

Jim Vechery, “AFRICOM: 10+ Years of Working with Partners in Africa,” United States Africa Command, May 13, 2019, <https://capstone.ndu.edu/Portals/83/AFRICOM-DCOM.pdf>

34. نُقلت عمليات الطائرات المسيرة بأغلبها إلى مطار شيبلي، خارج المدينة، في العام 2013 عقب سلسلة من حوادث التحطم.

35. تم توقيع الاتفاقية التي تسمح بتمركز جنود صينيين في جيبوتي في فبراير 2014 بين وزير الدفاع الصيني تشانغ وانكوان ونظيره الجيبوتي. لكن مع أنه تم الكلام علناً عن التعاون المحسن، لم يتم الإعلان عن تفاصيل بشأن قاعدة صينية في جيبوتي. “Djibouti wants to reinforce military cooperation with China,” Ministry of National Defense of the People’s Republic of China, February 27, 2014, http://eng.mod.gov.cn/DefenseNews/2014-02/27/content_4493184.htm

36. مدة الاتفاقية 25 سنة، ومدة الإيجار الأولي 10 سنوات.

James Jeffrey, “China is building its first overseas military base in Djibouti — right next to a key US one,” PRI, May 3, 2016, <https://www.pri.org/stories/2016-05-03/china-building-its-first-overseas-military-base-djibouti-right-next-key-us-one>

37. أشارت التقارير الأولية عن منشأة صينية إلى رغبة في التمرکز في أوبوك، شمال البلاد. وأوبوك أقرب إلى مضيق باب المندب من مدينة جيبوتي، وكانت لتمنح البحرية الصينية مساحة عمل حصرية وحيّزاً لبناء مطار عسكري المستوى وأفضليات استراتيجية محتملة أخرى. للمزيد، راجع: Andrew Erickson, “Beijing Offers Most Comprehensive Statement to Date on New PLA Navy Logistical Facilities in Djibouti,” Andrew Erickson: China analysis from original sources, January 22, 2016, <http://www.andrewerickson.com/2016/01/beijing-offers-most-comprehensive-statement-to-date-on-new-pla-navy-logistical-facilities-in-djibouti/>

38. تشير صور ساتلية حديثة إلى عملية بناء جديدة في قاعدة البحرية الصينية في العام 2020، بما في ذلك تمديد للحوض الراهن ورصيف ثانٍ ممكن (غير مؤكد بعد)، مما يمكنه تحسين قدرة الاستيعاب في القاعدة.
- H.I. Sutton, "Satellite Images Show That Chinese Navy Is Expanding Overseas Base," *Forbes*, May 10, 2020, <https://www.forbes.com/sites/hisutton/2020/05/10/satellite-images-show-chinese-navy-is-expanding-overseas-base/#29d2d28a6869>
39. يصعب الحصول على تقديرات دقيقة لأعداد الجنود. وتم استقاء هذا التقدير من مقابلات أجراها المؤلف مع مصادر استخباراتية ودفاعية ودبلوماسية غربية، في واشنطن العاصمة، في يناير ومارس 2020.
40. الأرقام تقريبية، وتبلغ الرزمة الإجمالية، بما في ذلك أشكال المساعدات المختلفة، أكثر من 70 مليون دولار بقليل. وأنجزت الصفقة في خلال لقاء جرى في البيت الأبيض بين الرئيسين جيله وأوباما في مايو 2014.
- Eric Schmitt, "U.S. Signs New Lease to Keep Strategic Military Installation in the Horn of Africa," *The New York Times*, May 5, 2014, <https://www.nytimes.com/2014/05/06/world/africa/us-signs-new-lease-to-keep-strategic-military-installation-in-the-horn-of-africa.html>
41. مقابلة عبر الهاتف أجراها المؤلف مع دبلوماسي أمريكي كبير سابق، في مارس 2020.
42. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين ومسؤولي أمن قومي أمريكيين حاليين وسابقين، في واشنطن العاصمة، في مارس 2020.
43. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين ومسؤولي أمن قومي أمريكيين حاليين، في واشنطن العاصمة، في يناير ومارس 2020.
44. Zack Cooper, "Security Implications of China's Military Presence in the Indian Ocean," (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, March 2018), <https://www.csis.org/analysis/security-implications-chinas-military-presence-indian-ocean>
45. Leah Dreyfuss and Mara Karlin, "All that Xi wants: China attempts to ace bases overseas," (Washington, DC: The Brookings Institution, September 2019), <https://www.brookings.edu/research/all-that-xi-wants-china-attempts-to-ace-bases-overseas/>
46. يعود الفضل في هذا التحول إلى شين زو، وهو استراتيجي عسكري مرموق ومؤلف الكتاب الأبيض الصيني للدفاع.
- Michael Metcalf, "Imperialism with Chinese Characteristics? Reading and Re-Reading China's 2006 Defense White Paper," (Washington, DC: National Intelligence University, September 2011), https://ni-u.edu/ni_press/pdf/Imperialism_with_Chinese_Characteristics.pdf
47. سمح قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 1816 (عام 2008) للدول "باستعمال الوسائل اللازمة كافة" لقمع أعمال القرصنة والسرقات المسلحة في البحار لفترة ستة أشهر. قرار مجلس الأمن 1816، S/RES/1816، المقطع 7(ب)، (2 يونيو 2008)، [https://undocs.org/ar/S/RES/1816\(2008\)](https://undocs.org/ar/S/RES/1816(2008))
48. "Missions completed, 32nd Chinese naval escort taskforce returns home," *China Military Online*, November 1, 2019, http://eng.chinamil.com.cn/view/2019-11/01/content_9666626.htm
49. Joshua T. White, "China's Indian Ocean ambitions: Investment, influence, and military advantage," (Washington, DC: The Brookings Institution, June 2020), 5, URL

50. "China's Military Strategy," (Beijing: The State Council, The People's Republic of China, May 2015), http://english.www.gov.cn/archive/white_paper/2015/05/27/content_281475115610833.htm
يختتم التوسع المستمر لطموحات في المياه الزرقاء بأحدث كتاب أبيض عن الدفاع لبكين (يوليو 2019)، التي تحدد "حماية أعالي البحار" كمتطلب استراتيجي.
- "China's National Defense in the New Era," (Beijing: The State Council, The People's Republic of China, July 24, 2019), http://english.www.gov.cn/archive/whitepaper/201907/24/content_WS5d3941ddc6d08408f502283d.html
51. ابتداء من أواسط العام 2019، أبقت الصين على نحو 2500 عنصر حفظ السلام في سبع مهمات للأمم المتحدة لحفظ السلام في أفريقيا والشرق الأوسط. ويعمل أكثر من ألفٍ منهم في بعثة الأمم المتحدة في جنوب السودان. "الصين"، عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام، <https://peacekeeping.un.org/ar/china>
52. "PLA establishes base in Horn of Africa," China Daily, July 12, 2017, http://eng.chinamil.com.cn/view/2017-07/12/content_7672754.htm
أصبح الإجراء الآمن للمواطنين الصينيين مسألة سياسية محلية كبيرة في العام 2011، عندما أجرت الحكومة الصينية عملية إجلاء ضخمة لنحو 36 ألف صيني من ليبيا التي عمتها أعمال الشغب، ومرة أخرى في العام 2014 عندما أجلت 900 عامل صيني آخر. وأجّلت بكين أيضاً مواطنيها من جنوب السودان في العامين 2013 و2016، ومن اليمن (إلى جيوتي) في العام 2015. بعد الانتقاد المحلي الشديد بشأن الإجراء في العام 2011، نالت عملية الإجراء من اليمن في العام 2015 ثناء واسعاً، وشكّلت لاحقاً حبكة فيلم حركة صيني ناجح صدر في العام 2018 بعنوان "عملية البحر الأحمر".
53. مثلاً، راجع:
Joel Wuthnow, "The PLA Beyond Asia: China's Growing Military Presence in the Red Sea Region," (Washington, DC: National Defense University, January 2020), 7, <https://www.ndu.edu/Portals/68/Documents/stratforum/SF-303.pdf>
54. مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولين دفاعيين أمريكيين، في واشنطن العاصمة، في يناير 2020.
55. أرسلت المدمرة شينينغ من فئة 052D التابعة للبحرية الصينية كجزء من الانتشار الثالث والثلاثين لفرقة العمل المرافقة البحرية الصينية. Zhao Lei, "Navy sends its most capable combat ship on escort mission," China Daily, September 10, 2019, <https://www.chinadaily.com.cn/a/201909/10/WS5d76fe60a310cf3e3556aad1.html>
ونُشرت غواصات وسفن بحرية أخرى أيضاً في السابق كجزء من دوريات مكافحة القرصنة. للمزيد عن عمليات انتشار البحرية الصينية، راجع David Shinn, "China's Power Projection in the Western Indian Ocean," The Jamestown Foundation, April 20, 2017, <https://jamestown.org/program/chinas-power-projection-western-indian-ocean/>
56. مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤول دفاعي أمريكي، في واشنطن العاصمة، في يناير 2020.
57. مع أنه من الصعب التأكد من ذلك، يلحظ المسؤولون الأمريكيون المفاتحات الصينية لدول أفريقية أخرى، على السواحل المطلة على المحيط الهندي والمحيط الأطلسي على حد سواء، بشأن بناء قواعد لجيش التحرير الشعبي. مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولي أمن قومي أمريكيين حاليين وسابقين، في واشنطن العاصمة، في مارس 2020.
58. يفيد الدبلوماسيون والمراقبون الدوليون الآخرون في جيوتي أيضاً عن سلسلة من "أخطاء المبتدئين" ارتكبها جيش التحرير الشعبي أدّت إلى ردود فعل سلبية من ناحية العلاقات العامة. مثلاً، أفيد أنّ الحراس خارج القاعدة الصينية تخطّوا صلاحياتهم بوضع عوائق على الطريق العام التي تمر بجانب المنشأة. فأوقفوا السيارات العابرة، من بينها سيارات الموفدين الدبلوماسيين الأجانب، واستجوبوا الركاب، وطلبوا أحياناً حذف صور أو أخذ طرقات بديلة. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين ومراقبين أجانب، في جيوتي، في أبريل 2019.

59. Erica Downs, Jeffrey Becker, and Patrick deGategno, "China's Military Support Facility in Djibouti: The Economic and Security Dimensions of China's First Overseas Base," (Arlington, VA: CNA, July 2017), https://www.cna.org/cna_files/pdf/DIM-2017-U-015308-Final3.pdf
60. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين وعسكريين أجانب، في جيبوتي، في أبريل 2019. أفيد أن جيش التحرير الشعبي طلب مسافة كيلومترين حول المنشأة ومجالاً لا متناهيًا فوقها.
61. مقابلة أجراها المؤلف مع مسؤولين في البنتاغون، في واشنطن العاصمة، في يونيو 2020.
62. رفض الضباط الأمريكيون دعوات لمبارزات في المهارات العسكرية ودورة دولية في كرة السلة واحتفال بحلول سنة جديدة قمرية في العام 2019. والتواصل بين الجنود الأمريكيين والصينيين محدود أيضاً بسبب قيود على الحركة مفروضة في معسكر لومونييه، قبل وصول جيش التحرير الشعبي بكثيرة، نتيجة الهجوم الإرهابي في العام 2014 الذي استهدف مطعماً محبوباً في مدينة جيبوتي.
63. مقابلة أجراها المؤلف مع مسؤول دفاع أمريكي، في جيبوتي، في أبريل 2019.
64. Idrees Ali, Gao Liangping, and Philip Wen, "China denies U.S. accusation of lasers pointed at planes in Djibouti," Reuters, May 3, 2018, <https://www.reuters.com/article/us-usa-china-djibouti/china-denies-u-s-accusation-of-lasers-pointed-at-planes-in-djibouti-idUSKBN1I429M>
65. تراوح نمو الناتج المحلي الإجمالي بين 5,4 و8,4 في المئة في كل سنة من العام 2016 إلى العام 2019. وقبل أزمة فيروس كورونا المستجد، توقع البنك الدولي نمواً بنسبة 7,5 في المئة في العام 2020 (أعيد النظر فيه ليصبح 1,3 في المئة الآن) و8 في المئة بين عامي 2022 و2025. "Djibouti" in "Macro Poverty Outlook: Middle East and North Africa," (Washington, DC: The World Bank, April 2020), <http://pubdocs.worldbank.org/en/747731554825511209/mpo-mena.pdf>, 149-148
66. "IMF Executive Board Concludes 2019 Article IV Consultation with Djibouti," International Monetary Fund, October 23, 2019, <https://www.imf.org/en/News/Articles/2019/10/23/pr19383-djibouti-imf-executive-board-concludes-2019-article-iv-consultation>
67. مقابلة أجراها المؤلف مع رجل أعمال جيبوتي، في جيبوتي، في أبريل 2019.
68. تهدف خطة التنمية، التي تجعل من جيبوتي "منارة البحر الأحمر"، إلى الحد من الفقر بنسبة الثلث والبطالة بنسبة 40 في المئة والحرص على قدرة وصول شامل إلى الطاقة والمياه والخدمات الصحية الأساسية. "رؤية جيبوتي 2035"، حكومة جمهورية جيبوتي، يونيو 2014. نسخة استحصل عليها المؤلف.
69. "Chinese engagement in Djibouti's economic transformation in a nutshell," Xinhua, January 10, 2020, http://www.xinhuanet.com/english/2020-01/10/c_138694414.htm

70. مثلاً، راجع:

Baijie An, "China, Djibouti agree on cooperation," China Daily, November 24, 2017,

https://www.chinadaily.com.cn/china/2017-11/24/content_34922597.htm

زار جيله وسلفه على حد سواء الصين في عدة مناسبات سابقة وصولاً إلى العام 1979. وقد مولت الصين أيضاً مساهمات بارزة في العقود التي خلت، من بينها مركز مؤتمرات وطني (عام 1983) ومدينة رياضية (عام 1991) ومبنى وزارة الخارجية (عام 2001).

71. للمفارقة، تلا الانتخاب الديمقراطي المفاجئ لرئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد، الذي أطلق في حملته في العام 2018 وعوداً بالتراجع عن المشاريع الصينية الضخمة "غير العادلة"، تعليقاً لعقود البنى التحتية الصينية في العام 2018 وإعادة تفاوض بشأنها لاحقاً.

Joseph Sipalan, "China, Malaysia restart massive 'Belt and Road' project after hiccups," Reuters, July 25, 2019,

<https://www.reuters.com/article/us-china-silkroad-malaysia/china-malaysia-restart-massive-belt-and-road-project-after-hiccups-idUSKCN1UK0DG>

مع أنَّ الخلافة الرئاسية موضع نقاش منذ زمن في جيبوتي، أشار جيله حتى الآن أنه سيعاود الترشح في انتخابات العام 2021 التي من المرجح جداً أن يفوز بها، فيضمن بالتالي عهداً آخر من الاستمرارية في العلاقات الصينية الجيبوتية.

72. François Soudan, "Ismail Omar Guelleh : « Personne d'autre que les Chinois n'offre un partenariat à long terme à Djibouti »" [Ismail Omar Guelleh: 'No one other than the Chinese offers a long-term partnership in Djibouti'], Jeune Afrique,

April 4, 2017, <https://www.jeuneafrique.com/mag/421096/politique/ismail-omar-guelleh-personne-dautre-chinois-noffre-partenariat-a-long-terme-a-djibouti/>

73. كلفت هذه الحصة تشاينا مرتشانتس 185 مليون دولار.

"China Merchants Buys Into Africa's Port of Djibouti," JOC, January 2, 2013, https://www.joc.com/port-news/international-ports/china-merchants-buys-africas-port-djibouti_20130102.html

للمزيد من التفاصيل، راجع "التعرض لمخاطر الدين".

74. كل الأرقام تقريبية. ميناء دوراليه المتعدد الاستخدامات:

"Djibouti's Doraleh Port officially opens," Xinhua, May 24, 2017, http://www.xinhuanet.com/english/2017-05/24/c_136312120.htm

and Michael Angell, "Port Report: China Merchants rejiggers debt for Djibouti free-trade zone after Doraleh Container Terminal seized," American Shipper, April 30, 2019, <https://www.freightwaves.com/news/maritime/port-report-china-merchants-ports-djibouti>

china-merchants-ports-djibouti

سكك الحديد:

"China banks loan 3.3 billion USD for Addis Ababa-Djibouti Railway Project," AIDDATA, <https://china.aiddata.org/projects/30171>

and "Ethiopia-Djibouti Railway Line Modernisation," Railway Technology, <https://www.railway-technology.com/projects/ethiopia-djibouti-railway-line-modernisation/>

technology.com/projects/ethiopia-djibouti-railway-line-modernisation/

خط أنابيب المياه:

"China funds cross-border water project in Djibouti, Ethiopia," AIDDATA, <https://china.aiddata.org/projects/30888>

and "Chinese funded Ethio-Djibouti water project to be inaugurated soon," Xinhua, June 27, 2017,

http://www.xinhuanet.com/english/2017-06/27/c_136398856.htm

مقابلات عبر الهاتف ومراسلات عبر البريد الإلكتروني أجراها المؤلف مع مسؤولي البنك الدولي، في مارس 2020.

75. تقول هيئة الموانئ إن قدرة الاستيعاب المصممة تفوق سبعة ملايين طن من الشحنات ومئتي ألف حاوية سنوياً.

76. لمعرفة المزيد عن محطة دوراليه للحاويات، راجع "أهو فخ؟".

77. بالإضافة إلى مشروع السكك الحديدية الصيني، بحثت أثيوبيا عن تمويل خارجي، عبر مصرف كريدي سويس والمصرف التركي لائتمان التصدير، لبناء خط قطار ثانٍ من أواش إلى ولديا. وسلط المشروعان، واحد مدعوم سياسياً والثاني ذو طابع تجاري أكثر، الضوء على الفرق من ناحية التمويل والمعايير التقنية وعلاقات العمل مع سلطات سكك الحديد الأثيوبية، بما في ذلك الفرصة لنقل المهارات والتكنولوجيا. راجع: Chen Yunnan, "Railpolitik: the strengths and pitfalls of Chinese financed African Railways," Panda Paw Dragon Claw, March 16, 2020, <https://pandapawdragonclaw.blog/2020/03/16/railpolitik-the-strengths-and-pitfalls-of-chinese-financed-african-railways/>
78. شكك الكثيرون في جدوى سكة حديد عبر قارية كهذه، أقله على المدى القصير، نظراً إلى حجم هذا المشروع والمناطق المضطربة التي ينبغي على هذه السكة عبورها. علاوة على ذلك، يبدو أن الطموحات الصينية بسكك الحديد وإقبالها على تمويل البنى التحتية لسكك الحديد تراجعت منذ البدء بمشروع جيبوتي وأثيوبيا ومشروع سكة حديد مشابه بقياس معياري في كينيا المجاورة. لمعرفة المزيد عن الشكوك، راجع: John Aglionby, "Djibouti-Ethiopia railway carriers hope for pan-African trade," Financial Times, January 16, 2017, <https://www.ft.com/content/42d7af2e-d95a-11e6-944b-e7eb37a6aa8e>
79. Dawei Ke, "Africa's Djibouti Launches \$3.5 Billion China-Backed Trade Zone," Caixin Global, July 9, 2018, <https://www.caixinglobal.com/2018-07-09/africas-djibouti-launches-35-billion-china-backed-trade-zone-101297417.html> يزعم الشركاء في منطقة التجارة الحرة أن المشروع قد يؤمن ما يصل إلى 350 ألف وظيفة. وستحدد النسبة العليا للعمال الأجانب بـ 70 في المئة في السنوات الخمسة الأولى ثم تخفّض إلى 30 في المئة بعد ذلك.
80. مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولي منطقة التجارة الحرة الدولية في جيبوتي وزيارة للمؤلف أجراها للموقع، في جيبوتي، في أبريل 2019.
81. يشمل الاقتراح لبناء "محطة جيبوتي الدولية للحاويات" بقيمة 650 مليون دولار القدرة على مناولة 2,5 مليون حاوية، أي أكثر من ضعف ما يعبر محطة دوراليه للحاويات الحالية سنوياً. عرض قدمته الهيئة الجيبوتية للموانئ والمناطق الحرة، استحصل عليها المؤلف.
82. Turloch Mooney, "China Merchants to revamp old port of Djibouti," JOC, July 17, 2018, https://www.joc.com/port-news/terminal-operators/china-merchants-revamp-old-port-djibouti_20180717.html
83. "تطوير الصناعات في داميروجوغ في جيبوتي"، عرض وفيديو ترويجيان لهيئة الموانئ والمناطق الحرة في جيبوتي، استحصل عليها المؤلف.
84. سيتم تلزيم بناء الأنابيب ومحطة الغاز الطبيعي المسال لشركة بولي غروب (Poly Group) الصينية المملوكة من الدولة ومجموعة غولدن كونكورد (Golden Concord).
- "Ethiopian parliament approves accord with Djibouti to build natural gas pipeline: report," December 26, 2019, Xinhua, http://www.xinhuanet.com/english/2019-12/26/c_138657550.htm
- وشهدت داميروجوغ، على غرار التطويرات الساحلية الأخرى في المنطقة، توجهات جيوسياسية متغيرة وتنافساً بين الجهات الفاعلة الخارجية للسيطرة على تطويرات الموانئ والطاقة والبنى التحتية على جانبي منطقة البحر الأحمر. وفي العام 2018، ضغط المسؤولون على نظرائهم الأثيوبيين لعدم إرسال احتياطات أوغادين المكتشفة حديثاً بالأنابيب إلى جيبوتي، بل إلى الميناء المجدد على البحر الأحمر في أريتريا. وأملت أبوظبي أن توطّد الخطوة التقارب الناشئ بين أثيوبيا وأريتريا وتساعد موانئ دبي العالمية، التي كانت قد طُردت من جيبوتي في العام 2018، على إحياء ميناء أريتريا البائد كبديل عن جيبوتي. ويبدو أن مشروع داميروجوغ الخيار الطاعي حتى الآن.
- David Styan, "China's Maritime Silk Road and Small States: Lessons from the Case of Djibouti," Journal of Contemporary China 29, no. 122 (July 2019): 191–206, <https://doi.org/10.1080/10670564.2019.1637567>
85. David Styan, "China's Maritime Silk Road and Small States: Lessons from the Case of Djibouti," Journal of Contemporary China 29, no. 122 (July 2019): 191–206, <https://doi.org/10.1080/10670564.2019.1637567>

86. مقابلات أجراها المؤلف مع عامل في قطاع الخدمات، في جيبوتي، في أبريل 2019.
87. 3190 دولاراً في العام 2018. راجع: "جيبوتي"، بيانات، البنك الدولي، <https://data.albankaldawli.org/country/djibouti>
88. "Djibouti," World Inequality Database, <https://wid.world/country/djibouti/>
89. "Inequalities in Human Development in the 21st Century: Briefing note for countries on the 2019 Human Development Report — Djibouti," United Nations Development Programme, 2, http://hdr.undp.org/sites/all/themes/hdr_theme/country-notes/DJI.pdf
90. للأسر التي لديها طاقة كهربائية، تستهلك الكهرباء ما يصل إلى ثلث إنفاق الأسرة الشهري. وتبعاً لأحد المصادر، يتم شراء الكهرباء من أثيوبيا لقاء ست سنتات للكيلوواط ساعة ويتم بيعها في السوق المحلية لقاء أكثر من خمسين سنتاً. مقابلة أجراها المؤلف مع سفير دولة غربية، في جيبوتي، في أبريل 2019.
91. المرجع ذاته.
92. تواجه الاحتكارات الحكومية الكثير من الانتقاد. فقد زعم دبلوماسي أجنبي أن ما يصل إلى ثلث الموظفين في الاتصالات ومرفق الكهرباء "أشباه"، أي أفراد لا وجود لهم أو يتقاضون راتباً بدون المجيء إلى العمل. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين، في جيبوتي، في أبريل 2019.
93. يشير المسؤولون الفرنسيون كمثل على ذلك إلى كولاس (Colas)، وهي شركة بناء فرنسية ضخمة أوقفت أعمالها في العام 2018 بعد قرابة أربعة عقود في جيبوتي. مقابلة المؤلف مع مسؤول في السفارة الفرنسية، في جيبوتي، في أبريل 2019.
94. مقابلة المؤلف مع دبلوماسي جيبوتي كبير، في جيبوتي، في أبريل 2019.
95. المرجع ذاته.
96. بالمقارنة، للدول المستقرة المشابهة في المنطقة نسبة دين إلى ناتج محلي إجمالي أدنى بكثير: 28,5 في المئة لأثيوبيا و34 في المئة لكينيا و17,7 في المئة لمصر و28,3 في المئة للمملكة العربية السعودية. وتعكس الأرقام النسب الفعلية و المتوقعة الأحدث من صندوق النقد الدولي للديون الحكومية أو الديون المضمونة من الحكومة الخارجية. راجع:
- "The Federal Democratic Republic of Ethiopia 2019 Article IV Consultation Press Release and Staff Report," (Washington, DC: International Monetary Fund, January 28, 2020), 92, <https://www.imf.org/en/Publications/CR/Issues/2020/01/28/The-Federal-Democratic-Republic-of-Ethiopia-2019-Article-IV-Consultation-and-Requests-for-48987>; "Kenya 2018 Article IV Consultation Press Release, Staff Report, and Statement by the Executive Director for Kenya," (Washington, DC: International Monetary Fund, October 23, 2018), 78, <https://www.imf.org/en/Publications/CR/Issues/2018/10/23/Kenya-Staff-Report-for-the-2018-Article-IV-Consultation-and-Establishment-of-Performance-46301>; "Arab Republic of Egypt 2017 Article IV Consultation Press Release, Staff Report, and Statement by the Executive Director for the Arab Republic of Egypt," (Washington, DC: International Monetary Fund, January 22, 2018), 37, <https://www.imf.org/en/Publications/CR/Issues/2018/01/22/Arab-Republic-of-Egypt-2017-Article-IV-Consultation-Second-Review-Under-the-Extended-45568>; "Saudi Arabia 2019 Article IV Consultation Press Release and Staff Report," (Washington, DC: International Monetary Fund, September 9, 2019), 5, <https://www.imf.org/en/Publications/CR/Issues/2019/09/09/Saudi-Arabia-2019-Article-IV-Consultation-Press-Release-and-Staff-Report-48659>
- يقترح مسؤولو البنك الدولي أن جيبوتي، بشكل مثالي، ستخفض نسبتها بمقدار 40-50 في المئة في السنوات المقبلة. مقابلة عبر الهاتف أجراها المؤلف مع مسؤول في البنك الدولي، مارس 2020.

97. يعكس هذا الرقم الدين الحكومي أو الدين المضمون من الحكومة، وهو إجراء مستخدم غالباً لتحديد كمية الدين الخارجي لبلد ما. “IMF Executive Board Concludes 2019 Article IV Consultation with Djibouti,” International Monetary Fund, October 23, 2019, <https://www.imf.org/en/News/Articles/2019/10/23/pr19383-djibouti-imf-executive-board-concludes-2019-article-iv-consultation>
98. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين غربيين، في أبريل 2019. مقابلة عبر الهاتف أجراها المؤلف مع مسؤول في البنك الدولي، في مارس 2020. لمعرفة المزيد، راجع: “Djibouti: 2019 Article IV Consultation-Press Release; Staff Report; and Statement by the Executive Director for Djibouti,” International Monetary Fund, October 23, 2019, <https://www.imf.org/en/Publications/CR/Issues/2019/10/23/Djibouti-2019-Article-IV-Consultation-Press-Release-Staff-Report-and-Statement-by-the-48743>
99. مقابلات عبر الهاتف أجراها المؤلف مع دبلوماسيين أجانب ومراقبين دوليين، في مارس 2020.
100. مع أن القطار قادر على اختصار الرحلة من أديس أبابا إلى جيبوتي من ثلاثة أيام إلى 12 ساعة، ابتداء من مارس 2020، استمر بإجراء رحلتين أو ثلاث يومياً عوضاً عن الرحلات الخمسة التي تم تصورها بالاتجاهين.
101. تشير بعض الروايات إلى أن التناقش حول إعادة التفاوض بشأن القرض بدأ في سبتمبر 2018. راجع: David Styan, “China’s Maritime Silk Road and Small States: Lessons from the Case of Djibouti”
102. Nicholas Norbrook, “Djibouti’s debt to China has the US and France worried,” The Africa Report, April 8, 2019, <https://www.theafricareport.com/11551/djiboutis-debt-to-china-has-the-us-and-france-worried/>
103. في نهاية المطاف ستعمل إثيوبيا على تنويع قدرة وصولها إلى الموانئ، وهذه احتمالية سترغم جيبوتي في النهاية على التنافس. لكن المسؤولين الجيبوتيين يقولون إنَّ الحجم الإضافي الآتي من بنية الموانئ التحتية الجديدة، بالترافق مع التوسع الاقتصادي في إثيوبيا، سيغطي بشكل كبير أي خسارة في الأعمال.
104. لطالما حافظ التحالف الحاكم في إثيوبيا، أي الجبهة الثورية الديمقراطية الشعبية الأثيوبية، على علاقات على حد سواء مع الولايات المتحدة (تشارك في السياسة الخارجية والأمن ومكافحة الإرهاب) والصين (تشارك في التبادل التجاري والتنمية الاقتصادية وتشاطر في بعض التوجهات الأيديولوجية).
105. لمعرفة المزيد عن العملية الانتقالية السياسية والاقتصادية في إثيوبيا، راجع: Witney Schneidman “Ethiopia: Africa’s next powerhouse,” The Brookings Institution, March 26, 2019, <https://www.brookings.edu/blog/africa-in-focus/2019/03/26/ethiopia-africas-next-powerhouse/>
106. بالإضافة إلى التقصير في التطوير في محطة الحاويات، اشتكت السلطات من أنَّ موانئ دبي العالمية تحجّم جيبوتي عبر تطوير موانئ منافسة في الوقت عينه في مواقع أخرى في البحر الأحمر. مقابلات أجراها المؤلف مع دبلوماسيين ومشغلي موانئ جيبوتيين، في جيبوتي، في أبريل 2019.
107. كان المهندس الرئيسي لامتياز محطة دوراليه للحاويات الرئيس السابق لهيئة الموانئ الجيبوتية أبو رحمان بوري، الذي كان قبلاً حليفاً لجيله ثم اتهم لاحقاً بأنه يتلقى رشاً من موانئ دبي العالمية لمنحها شروطاً مؤقتة. وحمل الخلاف خفايا سياسية، لأنه أفيد أنَّ بوري عارض جهود جيله للبقاء في السلطة لعهد إضافي. ومع أنَّ التهم الدولية ضد بوري أسقطت، ما زال في المنفى.
- Daniel Finnan, “Djibouti businessman Abourahman Boreh cleared of corruption charges by London court,” RFI, March 2, 2016, <http://www.rfi.fr/en/africa/20160302-djibouti-businessman-abourahman-boreh-cleared-corruption-charges-london-court>

“Djibouti seizes control of Dubai-run Doraleh port,” Al Jazeera, February 23, 2018, .108

<https://www.aljazeera.com/news/2018/02/djibouti-seizes-control-dubai-run-dolareh-port-180223200900708.html>

109. منحت عملية البيع في العام 2013 نسبة 23,5 في المئة من حصة هيئة الموانئ والمناطق الحرة في جيبوتي في محطة دوراليه للحاويات، وتبلغ 66 في المئة، لشركة تشاينا مرتشانتس القابضة للموانئ، وهي فرع من تشاينا مرتشانتس، إحدى أكبر الشركات الصينية المملوكة من الدولة. أما الحصة الباقية من المحطة ونسبتها 33 في المئة فكانت تملكها موانئ دبي العالمية.

“Djibouti row: DP World sues China Merchants,” Khaleej Times, November 6, 2018, <https://www.khaleejtimes.com/business/local/djibouti-row-dp-world-sues-china-merchants> .110

Kai Shultz, “Sri Lanka, Struggling With Debt, Hands a Major Port to China,” The New York Times, December 12, 2017, .111
<https://www.nytimes.com/2017/12/12/world/asia/sri-lanka-china-port.html>

للمزيد، راجع:

Deborah Brautigam, “A critical look at Chinese ‘debt trap diplomacy’: the rise of a meme,” Area Development and Policy 5, no. 1 (December 6, 2019): 1–14, <https://doi.org/10.1080/23792949.2019.1689828>

112. أعرب العضو في الكونغرس عن مخاوفه حيال تقارير بأن جيبوتي نوت أن “تهب” الميناء لبكين.

Bradley Byrne, Letter to Secretary of Defense James Mattis, March 5, 2018, <https://byrne.house.gov/sites/byrne.house.gov/files/Byrne%20Djibouti%20Letter.pdf>

Thomas D. Waldhauser, “Transcript: Gen. Thomas D. Waldhauser at HASC Hearing on National Security Challenges and U.S. Military Activities in Africa,” (Congressional testimony, March 6, 2018), <https://www.aficom.mil/media-room/transcript/30469/gen-thomas-d-waldhauser-at-hasc-hearing-on-national-security-challenges-and-u-s-military-activities> .113

Christopher A. Coons and Marco Rubio, Letter to Secretary of State Mike Pompeo and Secretary of Defense James Mattis, November 7, 2018, <https://www.coons.senate.gov/imo/media/doc/Djibouti%20Ltr%20Signed%2011%207%202018.pdf> .114

John R. Bolton, “Remarks by National Security Advisor Ambassador John R. Bolton on The Trump Administration’s New Africa Strategy” .115

برز انتباه سلبى من جديد في ديسمبر 2019 بعد نشر مقالة في ذي واشنطن بوست (The Washington Post):

Max Bearak, “In strategic Djibouti, a microcosm of China’s growing foothold in Africa,” The Washington Post, December 30, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/africa/in-strategic-djibouti-a-microcosm-of-chinas-growing-foothold-in-africa/2019/12/29/a6e664ea-beab-11e9-a8b0-7ed8a0d5dc5d_story.html

.Joshua T. White, “China’s Indian Ocean ambitions,” TK 21.116

117. مثلاً، راجع:

.Zack Cooper, “Security Implications of China’s Military Presence in the Indian Ocean,” 1

118. في أبريل 2019، أفاد مشغلو محطة دوراليه للحاويات ومسؤولو هيئة الموانئ والمناطق الحرة في جيبوتي أن ثلاثة مسؤولين صينيين فقط يعملون في محطة دوراليه للحاويات، وكلهم يعلمون في قسم المالية. مقابلات أجراها المؤلف مع مشغلي محطة دوراليه للحاويات ومسؤولي هيئة الموانئ والمناطق الحرة في جيبوتي وزيارة أجراها المؤلف للموقع، في جيبوتي، في أبريل 2019.

Thomas Waldhauser and Craig Faller, "Transcript: Gen. Thomas Waldhauser and Adm. Craig Faller Remarks at Senate Armed Services Committee Hearing on AFRICOM and SOUTHCOM," (Congressional testimony, February 8, 2019), <https://www.africom.mil/media-room/transcript/31504/transcript-gen-thomas-waldhauser-and-adm-craig-faller-remarks-at-senate-armed-services-committee>

120. تشمل الحيازات الصينية في أوروبا مثلاً اليونان (100 في المئة من محطة بيريوس للحاويات) وبلجيكا (85 في المئة من شركة سي أس بي زيبروغي للحاويات (CSP Zeebrugge Terminals NV) وإسبانيا (محطة نواتوم للحاويات في فالنسيا) وإيطاليا (40 في المئة من محطة فادو ريفر في فادو ليغوري).

Joanna Kakissis, "Chinese Firms Now Hold Stakes In Over A Dozen European Ports" NPR, October 9, 2018, <https://www.npr.org/2018/10/09/642587456/chinese-firms-now-hold-stakes-in-over-a-dozen-european-ports>

121. مثلاً:

.Deborah Brautigam, "A critical look at Chinese 'debt trap diplomacy'"

"China cancels Ethiopia's interest-free loans, PM in Beijing for forum," Africanews, April 25, 2019, 122 <https://www.africanews.com/2019/04/25/china-forgives-ethiopia-s-interest-free-loans-pm-in-beijing-for-forum/>

123. راجع مثلاً:

.Joshua T. White, "China's Indian Ocean ambitions"

124. يقول البعض إنَّ القروض الصينية جذابة جداً للدولة النامية لدرجة أنَّها قد تفوق خطر التخلي عن ميناء أو أصول استراتيجية أخرى. مقابلة أجراها المؤلف مع خبراء عن الصين، في واشنطن العاصمة، في يناير 2020.

125. مخصص لهوامش النص داخل المربع.

126. طبيعة القاعدة "الحملائية" أيضاً موضع بعض الانتقاد من داخل المؤسسات الأمريكية التي بالنسبة إليها عمليات النشر القصيرة الأمد وسلطات القيادة الموكلة لجهات خارجية وندرة الزيارات الرفيعة المستوى ترسل إشارات مغلوطة. مقابلات ومقابلات عبر الهاتف أجراها المؤلف مع مسؤولين ودبلوماسيين دفاعيين أمريكيين، في جيبوتي، في أبريل 2019، وفي واشنطن، في مارس 2020.

127. في العام 2018، قَدَّمت الولايات المتحدة نحو مليون دولار للتدريب والتعليم العسكريين الدوليين (IMET) وخمسة ملايين دولار للتمويل العسكري الأجنبي.

"U.S. Foreign Aid by Country: Djibouti," USAID, <https://explorer.usaid.gov/cd/DJI>

128. Joel Wuthnow, "China's Belt and Road: One Initiative, Three Strategies"

ABOUT THE AUTHOR

Zach Vertin is a nonresident fellow in the Brookings Institution's Foreign Policy program and a visiting fellow at the Brookings Doha Center. He is also a lecturer of public and international affairs at Princeton University, and previously served as a diplomat in the Obama administration.

ACKNOWLEDGEMENTS

The author extends special gratitude to Rebecca Lim for her tireless research support and collaboration on this project. He would also like to thank Omar Chaikhouni, Tarun Chhabra, Rush Doshi, Ryan Hass, Nader Kabbani, Emilie Kimball, and Ted Reinert, as well as the many colleagues and interlocutors whose input, ideas, and reviews informed this report. Lastly, he is grateful to the government of Norway for its support for Brookings' Red Sea Project, an initiative which examines the changing geopolitics of the Red Sea region, as shaped by actors in the Arabian Peninsula and the Horn of Africa, as well as by external powers.

Research and initial drafting of this report were completed prior to the onset of the COVID-19 pandemic, which has since presented unprecedented challenges for China, the United States, and Djibouti as well as its neighbors across the Red Sea region. While the depth and duration of the crisis remains to be seen, the dynamics underpinning Chinese engagement in the region, and the potential for great power competition, are likely to endure.

Ted Reinert edited this paper, Chris Krupinski provided layout, and Larry Issa provided Arabic layout and maps design.

The Brookings Institution is a nonprofit organization devoted to independent research and policy solutions. Its mission is to conduct high-quality, independent research and, based on that research, to provide innovative, practical recommendations for policymakers and the public. The conclusions and recommendations of any Brookings publication are solely those of its author(s), and do not reflect the views of the Institution, its management, or its other scholars.